401

HARLEQUIN

روايات أحلام

ستندمين

كارول مورتيمر

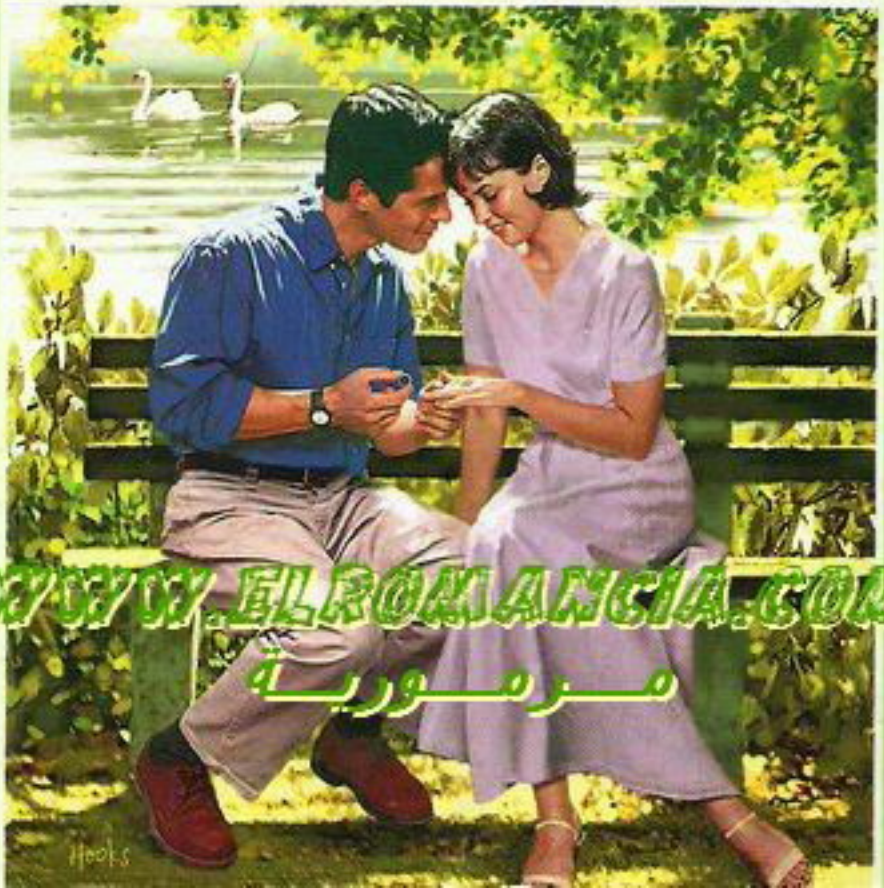

WWW.ELROMANCIA.COM
مـــرمـــوريـــة

ستندمين

حلت كريستال ضيفة غير متوقعةفي منزل سام بارتون الذي يقع في داخل إحدى الغابات . ومنذ لحظة وصولها أدركت ما أراد سام توضيحه . فقد ظهر بوضوح أن لا مكان في حياته للالتزامات العاطفية .

ولكن ... إنها لم تأت إلى منزله لتتزوج به... لقد قدمت لقضاء ليلتين فقط !

تشبثت كريس بكل ما تملك من قوة . كي تواجه قسوة ذلك الرجل وغطرسته . لكنها أصيبت بالصدمة حين اكتشفت ما يخفيه سام خلف مظهره القاسي ... فهل تستطيع الاستمرار في المقاومة ؟

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 978-9953-15-369-8

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
An enigmatic man
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
© *Carole mortimer 2003*
Translation © Dar El-Farasha - 2007
ISBN 978 - 9953 - 15 -369 - 8

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 11/8254 هاتف/ فاكس: 961-1-450950- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequinالعالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequinهي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

كارول مورتيمر

«ولدت في انكلترا، وكنت الابنة الصغرى بين ثلاثة أطفال، فلدي أخوان أكبر مني. بدأت الكتابة سنة ١٩٧٨، وكتبت حتى اليوم أكثر من ١٠٠ رواية لـ «ميلز أندبون».

لدي أربعة أبناء: ماثيو، جشوا، تيموثي وبيتر، وأملك كلبة من صنف «كولي» اسمها ميرلين. زوجي أيضاً اسمه بيتر، ونحن صديقان كما أننا متحابان، وهذا يجعل علاقتنا الزوجية ناجحة تماماً».

كارول

١ - هي ودراكولا

إنه قصر دراكولا!

لا . . . ! فكرت كريس مجدداً أنها تظلم دراكولا بهذا التشبيه!

أوقفت السيارة عند مدخل الطريق المؤدية إلى المنزل، بعد أن أمضت ساعات طويلة في القيادة قبل أن تصل أخيراً إلى هنا. تمنت أن تكون قد وصلت فعلاً إلى المكان الصحيح، رغم الضباب الذي يتكاثف بسرعة. لكن كل تساؤلاتها تلاشت حالما رأت اسم المنزل محفوراً على لوحة حجرية وضعت بجانب البوابة المتداعية. حدّقت بذهول نحو المنزل الضخم الكائن في آخر الممر الواسع. إنه مبني على الطراز الفيكتوري الذي يعود للقرن الثاني عشر، فكل جزء منه يدل على ذلك. بدا تصميم ذلك القصر الضخم مغايراً تماماً لذوق كريس.

لا يعقل أن يكون هذا هو المنزل الذي تقصده، لا يعقل أن يكون هذا منزل يوركشاير الذي يقطنه شقيق صديقتها مولي. إنها تعرف جيداً أن مولي غريبة الأطوار، لكن كريس لم تتوقع أن تكون عائلتها بأكملها ذات أطوار غريبة أيضاً.

حدّقت مجدداً بتلك اللوحة الحجرية. رغم وجود الطحلب فوقها، إلاّ أن اسم منزل فالكون ما زال واضحاً. أمسكت كريس الرسالة التي وصلتها من مولي منذ بضعة أيام، وقرأت مضمونها بسرعة حتى وصلت إلى المقطع الذي تصف لها فيه التعليمات لتصل إلى منزل سام بارتون. برز اسم منزل فالكون بوضوح بين بقية الكلمات. . .

لم يبدُ لها هذا المكان كمنزل مطلقاً. إنه قصر كبير مع أبراج وحصون

مرتفعة، حتى إنه محاط بخندق مائي يلتف حول الجدران الخارجية كلها.

ربما يقع منزل سام خلف هذا المبنى العملاق! ألم تخبرها مولي مرّة أنه يهتم بهذا المكان من أجل صديق له؟

بعد أن رأت كريس منزل فالكون بأم عينيها، لن تُفاجأ أبداً إذا كان المالك يبقى متغيباً عنه معظم الوقت. فهذا المبنى القديم المتهدم يجلب الكوابيس بالتأكيد لمن يسكن فيه.

نعم... لا بد أنها محقة. إذا تابعت التقدم بسيارتها عبر الممر فوق ذلك الجسر المتحرك المتزعزع، فستجد في الخلف بالتأكيد مبنى صغيراً ومريحاً أكثر من هذا القصر المخيف.

قادت كريس سيارتها ببطء عبر الطريق الضيقة الصعبة، ووصلت إلى مدخل قصر محاط بخندق فارغ من الماء مليء بالنفايات ذي رائحة نتنة. ما هي إلا بضع دقائق حتى اكتشفت أن ما خلف القصر ليس سوى قطعة أرض صغيرة مهملة. على الأرجح أنها كانت حديقة جميلة، لكنها الآن مغطاة بالعليق والأشجار الضخمة، وهي تبدو كغابة مخيفة!

أوقفت كريس سيارتها، ونزلت منها لتقف فوق الأرض المرصوفة بالحصى، والتي نمت فوقها الطحالب. حرّكت أطرافها المتعبة وهي تحدق مجدداً نحو القصر المتداعي. رأت أنابيب صدئة تتدلى فوق جدران المنزل وقطعاً من أحجار القرميد التي يفترض أن تغطي السطح منتشرة على الأرض بعد أن سقطت من الأعلى.

لم يبدُ المكان مرحّباً أبداً، وأصبحت كريس متأكدة أن لا أحد يعيش هنا. إنه...

لكنها سمعت صوتاً ما! صوت غير واضح وخفيف جداً. لكنها متأكدة أنها سمعت صوتاً ما. بدا الصوت آتياً من أحد جوانب المنزل.

ابتلعت ريقها بصعوبة، وشعرت بالتردد. هل تقترب من المكان أكثر لتستكشف مصدر الصوت؟ الله وحده يعلم ما قد تجد هناك! أم تعود ببساطة إلى سيارتها وتقود مسرعة إلى الخارج؟

أعجبها الخيار الثاني أكثر. لكن... ألم تمضِ العام الفائت هاربة من أمر إلى آخر؟ ألم يحن الوقت بعد كي تقف بقوة وتواجه الأمور مهما تطلب ذلك منها؟ لماذا قبلت دعوة مولي لقضاء بضعة أيام معها في منزل شقيقها في يوركشاير إن لم تكن مقتنعة بالتغيير؟

هل هذا حقاً الوقت المناسب كي تبدأ بمواجهة العالم من جديد؟

إنها خطوة كبيرة منها أن تقبل دعوة مولي، وتقوم بهذه الرحلة الطويلة المرهقة من لندن إلى يوركشاير. والآن عليها أن تواجه... هذا الموقف.

التفتت كريس نحو الطريق المؤدية إلى القصر القديم. وقد أضافت كثافة الضباب غموضاً إلى جو المكان، ما زاد من توترها. بدا القصر مهجوراً لولا الصوت الإيقاعي المستمر الذي سمعته آتياً من خلف المنزل.

حاولت أن تهوّن الأمر على نفسها؛ عليها فقط أن تذهب لتتحقق من الأمر. إن وجدت أن الهواء يلعب بغصن إحدى الأشجار فيضربه على النوافذ، فلا بأس بالأمر. وإن وجدت شخصاً ما، فستسأله ببساطة عن الاتجاه الصحيح للوصول إلى منزل سام بارتون وتتابع طريقها.

ما إن مرت كريس تحت القنطرة المؤدية إلى القلعة حتى اكتشفت أنها أخطأت في تقدير الأمور، إذ وجدت نفسها تواجه كلباً كبيراً لم ترَ بحجمه في حياتها من قبل!

أطلقت شهقة تنم عن الخوف، وتسمرت بشكل مفاجيء مكانها. كشر الكلب عن أنيابه، وأصدر صوتاً كالهدير من حنجرته، وتحفز استعداداً ليقفز عليها.

جف حلقها فجأة، وشعرت بكل عظمة وعضلة في جسمها تتوتر بسبب تلك المواجهة العنيفة. تجمدت مكانها تنظر بعينين واسعتين كأنها تحت تأثير التنويم المغناطيسي لعيني ذلك الكلب.

مرّ بعض الوقت والكلب لا يزال يصدر صوت همهمة أشبه بصوت الرعد المخيف، ثم سمعت صوتاً منقذاً يقول: «ما المشكلة، ميرلن؟».

من أين أتى ذلك الصوت. لم ترَ أحداً في الضباب سوى ذلك الكلب

المخيف. بالتأكيد سمعت صوتاً... إنه على الأرجح صوت رجل... لكنها لم تتأكد من ذلك، لأن الصوت بدا ضعيفاً وبعيداً.

راحت تكلّم نفسها بقلة صبر قائلة: «تماسكي، كريس».

ربما يبدو الوضع غريباً ومرهباً بسبب الضباب والأبراج الضخمة وراءها وذلك الوحش الكاسر الذي يقف أمامها، قاطعاً الطريق.

لكن هذا ليس سبباً كي تشعر بالذعر وتركض هاربة!

بل هو سبب كافٍ! ففي أي لحظة سيمل الوحش الضخم من الهمهمة، ويهجم عليها بفكّه الواسع ليمزّق جلدها الناعم.

سمعت الصوت المنقذ مجدداً عبر الضباب: «أنا أحذرك ميرلن، إن تبعت الأرانب مجدداً إلى جحورها لن أذهب لأنقذك».

إنه صوت رجل! وهو قريب جداً. أصبحت كريس متأكدة من ذلك الآن. إنه قريب بما يكفي لإنقاذها من هذا الكلب المفترس. هذا ما تأملته على الأقل!

- ساعدني!

يا للروعة! بدت شفتاها مخدرتين وبالكاد سُمعت صرختها كصرير خفيف. لكن صوتها كان كافياً لجعل همهمة ذلك الكلب تنقلب إلى نباح مرتفع ومحذر. بدا واضحاً أنه يتهيأ ليقفز عليها.

- ساعدني!

بدا صراخها مرتفعاً أكثر هذه المرة. تمنت أن يسمعها الرجل لأنها بدأت تفقد الأمل ببقاء الكلب هادئاً أو بعيداً عنها لفترة أطول!

نادى الرجل الكلب بنفاد صبر: «تباً لك ميرلن، أنا... ما بك بحق السماء...؟ هيا اجلس!».

قاطعت كريس بصرختها الملاحظات التي بدأ الرجل يوجهها لكلبه. وفجأة رأت شخصاً يخرج من حفرة في الأرض على بعد عشرة أقدام منها. ظهر رأس ذو شعر داكن أشعث ولحية نابتة لم تحلق منذ عدة أيام. لم يلطف مظهر ذلك الرأس سوى عينين خضراوين ثاقبتي النظرات،

تلتمعان ببريق حاد عبر الضباب الكثيف.

آه! على الأقل رضخ الكلب لأوامر صاحبه، فجلس بهدوء وتوقف حتى عن الهمهمة. لكن نظراته بقيت مثبتة على كريس بانتظار حركة خفيفة منها. إنه بدون شك ما زال ينتظر أمراً من صاحبه كي يهاجمها!

لكن كريس لا تملك أية نية بالتحرك. وهي لم تعد قادرة على القيام بأية حركة عدا التحديق بذلك الجسم الذي بدأ يخرج من الأرض.

اتسعت عيناها أكثر عندما رأت الرجل يستخدم رفشاً ليساعد نفسه على الخروج من تلك الحفرة. إنها حفرة بطول ست أقدام وعرض ثلاث، وهي لا تملك أدنى فكرة عن عمقها...!

انتقلت نظراتها نحو قدمي الرجل وهو يحاول الوقوف، ثم رفعت بصرها صعوداً. كان يرتدي بنطلوناً من الكتان الأسود وسترة عملٍ سوداء، أبرزت كتفيه العريضتين وعضلات ذراعيه القويتين. أما شعره فهو طويل أسود متموج يصل حتى كتفيه. ولم يظهر من معالم وجهه الذي حجبته لحية كثة سوى عينيه الخضراوين الثاقبتين.

بدا الرجل ضخماً، يزيد طوله بضعة إنشات عن الستة أقدام، وقد اشتدت عضلات جسمه بسبب العمل تماماً كما بدت أعصاب كلبه مشدودة منذ ثوانٍ.

بللت شفتيها الجافتين، آملة أن تتمكن من الحفاظ على هدوئها. استطاعت أن تتمتم بصوت متردد: «مرحباً!».

التوى فمها المشدود بسبب الفظاظة التي أجابها بها الرجل وهو يجيبها بنبرة قاسية: «مرحباً؟!».

كانت كريس لا تزال ترتجف، أولاً بسبب المواجهة العنيفة مع الكلب، وثانياً بسبب ظهور الرجل المفاجيء من تحت الأرض. لكن ذلك لا يعني أنها مرتعبة إلى حد الجنون!

أشارت نحو الحفرة وسألته: «ما الذي تفعله هناك؟».

إنه شهر كانون الثاني، وهذا ليس الوقت المناسب لنكش الحديقة، أو

حتى لزرعها. بالإضافة إلى أن حجم الحفرة وعمقها...!

رفع حاجبيه الداكنين فوق عينيه الخضراوين وقال: «ماذا تعتقدين أنني أفعل؟».

رغم حالته المزرية وشعره الأشعث ولحيته النابتة، بدا من نبرة صوته أنه رجل مثقف. في الواقع، في ظل ظروف مختلفة لرأت كريس أنه يملك نبرة لطيفة.

ارتجفت قليلاً بينما أخذت تحدق بالحفرة، وأجابته: «لا أملك أية فكرة عما تفعله».

لم يتحرك الرجل من مكانه، لكنه بدا أكثر توتراً وأصبح الرفش في يده يشكل تهديداً مخيفاً لكريس. تحدّاها بقوة قائلاً: «احزري إذاً».

ابتلعت كريس ريقها بصعوبة... بدا الموقف سخيفاً... إنها ببساطة تريد فقط معرفة الطريق المؤدية إلى منزل سام بارتون، وليس في نيتها الدخول في ألعاب كلامية مع رجل غريب، خطير المظهر.

- اسمع! أنا حقاً آسفة لأنني أزعجتك...

قاطعها الرجل ببرودة: «أزعجت ميرلن أكثر ممّا أزعجتني».

- ميرلن...؟ آه، تعني الكلب.

جلس الوحش الضخم عند قدم صاحبه الآن، لكنه ما زال يراقب تحركاتها. وحين ذكر اسمه عاد يهمهم من جديد.

ابتسم الرجل بتكلف وقال: «إنه لا يحب أن نناديه بهذا الشكل».

رمشت كريس بعينيها وعبست متفاجئة: «لكنني اعتقدت أن ميرلن هو اسمه، كما قلت».

هزّ الرجل رأسه وقال: «إنه كذلك. أعني... إنه لا يحب أن نصفه بالكلب».

- لكن...!

قاطعها بنفاد صبر وتابع: «أنا وأنت نعرف ذلك تماماً، لكن ميرلن لديه شكوك حيال الأمر، وأعتقد أن من الأفضل مجاراته في ذلك. ألست

محقاً؟».

حدّقت كريس بالحيوان الذي يسيل لعابه، ثم سألت بحذر: «وأي نوع من ال... أقصد ما هو نوعه؟».

لقد توقف ميرلن عن إصدار ذلك الصوت المخيف، ولا نية لها مطلقاً لسماعه من جديد.

- إنه من النوع الإيرلندي المتخصص بالحراسة. حسناً! من اللطيف قضاء بعض الوقت من النهار معك، لكن كما ترين عليّ الانتهاء من حفر القبر.

سألت بدهشة وقد اتسعت عيناها الرماديتان مجدداً: «أهذا قبر فعلاً؟».

ارتجفت كريس قليلاً بسبب الصقيع الذي سببه الضباب. يا للهول، يبدو أنها فعلاً وصلت إلى قصر دراكولا! رغم أنها اعتقدت أن مصاصي الدماء لا يظهرون إلاّ في الليل!

أتراه لا يرى ضوء النهار بسبب الضباب الكثيف؟ فهي قادت لمدّة ساعتين على ضوء مصابيح السيارة!

- من... أعني ماذا...؟

تراجعت كريس بضع خطوات إلى الخلف، بينما حاولت تركيب سؤال مفهوم. لكنها علمت أن الكلب سيرميها على الأرض إن حاولت الهروب ركضاً. من الواضح أن ذلك الذئب يستمع جيداً لتعليمات صاحبه. وصاحبه يبدو أكثر تهديداً الآن...

في الواقع، لم يبدُ الرجل منذ البداية مرحباً... لكن المشكلة الآن هي كيف ستتمكن من الخروج بكرامة من هذا المكان؟! ستنسى الخروج بكرامة! إنها تريد الهروب وحسب!

- نعم... أنت محق. لقد أخذت ما يكفي من وقتك.

حاولت أن تبتسم وهي تتكلم، لكن خدّيها رفضا الامتثال لتعليماتها فأظهرت شفتاها تكشيرة مزعجة بدل الابتسامة. وتابعت تقول: «سأتابع

طريقي الآن».

- إلى أين؟

رمشت بعينيها بسبب سؤاله غير المتوقع: «عفواً؟».

قطب الرجل حاجبيه وقال: «لا يقصد العديد من الناس هذا المكان، لذا كنت أسألك إلى أين تتوجهين؟».

إلى أين تتوجه...!

هزّت كريس كتفيها وارتجفت، بينما اخترق الضباب سترتها الصوفية. وقالت: «أنا في طريقي لمقابلة أصدقاء لي».

إنه جواب مناسب. هكذا سيعلم أن هناك أشخاصاً ينتظرونها ويتوقعون وصولها. وإن لم تصل في الوقت المحدد سيلاحظون تأخرها ويتصلون بالشرطة. هي تعلم أن ذلك لن يحدث، لأن مولي ستظن على الأرجح أنها بدلت رأيها بشأن المجيء إلى يوركشاير، لكن هذا الرجل لا يعرف ذلك!

أضافت بذكاء: «لا بد أنني أضعت الطريق بسبب الضباب. لن أزعجك أكثر...».

- كما سبق وأخبرتك، ميرلن منزعج من وجودك أكثر مني.

قالت كريس بلطف: «يبدو هادئاً الآن».

تذكرت أنها قرأت في مكان ما سابقاً، أنه يصعب على أي إنسان أن يؤذي الآخرين إن أقاموا معه علاقة جيدة. سيصبح المهاجم أقل عنفاً إذا كانت الضحية...

تباً... إنها ليست ضحية! إنها مجرّد مسافرة تائهة أخطأت في العنوان. وهي تريد المغادرة حالاً!

تابع الرجل قائلاً: «قد تكون المظاهر خداعة. فهذا النوع الإيرلندي مدرب على الصيد و...».

- هل تحاول إخافتي؟

قرأت ذات مرة أيضاً، وربما في المقال نفسه، أن من الأفضل أن

نهاجم بدل انتظار العدو لمهاجمتنا.

التوى فم الرجل، وأظهر ابتسامة صغيرة، ثم سألها: «هل أنا بحاجة لفعل ذلك؟».

تلون خدا كريس باللون الأحمر الناري بسبب سخريته، فأجابته قائلة: «أنا لست خائفة منك...».

كشّر قائلاً: «ألست خائفة؟ إذاً أنت ممثلة بارعة، إذا كان بإمكانك إظهار خوف لا تشعرين به!».

صدمتها قساوة كلامه، وقالت: «أنا لست...».

قاطعها الرجل قائلاً: «هناك شريان ينبض بقوة لا إرادية في رقبتك، وعضلات وجهك ترفض الامتثال لأوامرك. جسدك مشدود كلوح حديدي، وقبضتا يديك مشدودتان لدرجة أن أظافرك الجميلة ستترك آثارها على راحة كفك».

ثم عاد ينظر نحو وجهها وهو يتابع: «وإن لم أكن مخطئاً، فرغم ارتجافك من البرد، يمكنني أن أرى حبات عرق تظهر فوق شفتيك».

علمت كريس أن كل ما قاله صحيح، لكنها شعرت بالغضب لأنه لاحظ تلك التفاصيل بوضوح وتكلم عنها بسخرية غير ضرورية.

- النساء لا تعرق بل تتوهج!

علا الاحمرار خديها من جديد، شعرت بالضيق لأنه رغم جهودها تمكن بسهولة من فهم مشاعرها. تابعت وهي تحاول بجهد ألا تدع الكلب يعود إلى إصدار صوت الهمهمة من جديد: «يبدو هذا المكان كأنه خرج من إحدى قصص الرعب. استقبلني ذئب مستشرس، ثم خرجت من القبر لترحب بي وأنت لا تقل شراسة عنه، وتتوقع مني أن أبقى هادئة ومتماسكة؟!».

أخذت كريس تتنفس بصعوبة، وقد بدأت أظافرها بالفعل تحفر في راحتي يدها بسبب شد قبضتيها.

هزّ الرجل كتفيه، ولم يضطرب مطلقاً بسبب انفجار غضبها بل أجاب

بهدوء: «أنا لا أتوقع منك شيئاً. لم أدعُك للمجيء إلى هنا أبداً، وليس لدي أدنى فكرة حتى من تكونين. ولست مهتماً بمعرفة من تكونين أصلاً!».

أنهى كلامه بإهانتها، فأضافت كريس بقرف: «ولديك قبر عليك الانتهاء من حفره».

شرح لها قائلاً: «إن للقبر علاقة بمرلين. إنه لكلب ألزاسي، وجدناه في الغابة هذا الصباح».

وأشار نحو كيس من القماش يبعد بضع أقدام لم تكن كريس قد لاحظت وجوده من قبل. من الواضح أن ذلك الكيس كان يغطي جثة الكلب الميت.

ابتلعت ريقها بصعوبة وسألت: «ألا يملك أصحاباً يسألون عنه؟ شخص ما يجب أن يعرف ما حل به؟ وربما يفضل أن يدفن كلبه بنفسه».

- على الأرجح أنه كان لديه مالك في فترة من الفترات، لكن على حد علمي لقد أمضى الأشهر القليلة الماضية في الغابة، وحاول المزارعون المحليون إلقاء القبض عليه منذ عدة أسابيع لأنه يزعج خرافهم. لذا أظن أن أحدهم قد تمكن منه أخيراً وقتله.

أدركت كريس أنها أصبحت شاحبة. شعرت بالدماء تترك خديها وهي تنقل نظرها نحو الكيس القماشي الذي يحتوي على جثة الكلب. سألته: «أنا... هل تعتقد أن الأمر حدث بسرعة؟».

عبس الرجل وهو يقول: «وكيف لي أن أعلم؟ رغم أنني أشك في ذلك، فالسم عادة بطيء المفعول».

رددت كريس خلفه: «السم؟!».

اتسعت عيناها أكثر، وزاد شحوب وجهها، وبرز النمش الذي يغطي أنفها بقوة.

هزّ الرجل رأسه: «ما من جروح في جسمه، ولا أثر لأي إصابة. في الواقع، إن السم هو أكثر طريقة منطقية مسببة للموت».

الموت... الموت... أينما ذهبت وكيفما نظرت... لا ترى سوى الموت. كانت هذه آخر فكرة معذبة وردت في رأسها قبل أن يغمرها السواد وتنهار لتسقط على الأرض.

٢ - عينان من زمرد

استعادت كريس وعيها وهي تشعر بشيء خشن بجانب وجهها . .

فتحت عينيها لتجد نفسها مرفوعة عن الأرض. . . اتسعت عيناها برعب حين رأت وجه الرجل المتجهم القاسي، وتذكرت أنه يملك كلباً يحمل المعالم المتجهمة القاسية نفسها، وهو يمشي الآن بجانب صاحبه.

فتحت كريس فمها . . .

تمتم الرجل من بين أسنانه: «إياكِ أن تصرخي!».

أغلقت فمها بالسرعة التي فتحته فيها. شعرت بالذهول لأن الرجل لم يكن ينظر نحوها، ورغم ذلك أدرك على الفور أنها استعادت وعيها.

أضاف الرجل بهدوء: «إن صرخت سأقوم ببساطة بإسقاطك من بين يدي، وأنا أقف هنا».

ربما لن يكون ذلك أمراً سيئاً بالنسبة لها! على الأقل قد تتمكن من إيجاد فرصة للهرب والعودة إلى سيارتها.

تابع الرجل بنبرة ملؤها القسوة: «يكفيني همّ واحد لهذا اليوم. لم تكن بداية يوم جيدة بإيجاد ذلك الكلب صباحاً . . . اصمت ميرلن!».

شتم بحدةٍ حين بدأ مرلين يهمهم لسماعه كلمة كلب، فصمت هذا الأخير على الفور. في تلك اللحظة، تأكدت كريس أن الكلب رغم حجمه وعدائيته، يخاف كثيراً من هذا الرجل.

صحح الرجل كلامه مداراة لمشاعر ميرلن الحساس: «وجدت ذلك المخلوق الالزاسي ميتاً عند الصباح، وكنت أحاول دفنه بشكل لائق. قمت بحفر قبر له في أرضٍ لم يذب الثلج فيها منذ شهر تشرين الثاني. . .

وليكتمل نهاري تقوم امرأة ذات مخيلة واسعة باقتحام خلوتي، فيبدو لها رفيقي الوحيد كذئب قادم من الجحيم، وكأنني أنا آتٍ معه من هناك!».

دفع أحد الأبواب بقدمه، ودخل بسرعة إلى المنزل متوجهاً نحو المطبخ، ثم تابع: «كان عليّ تركك في الخارج حيث سقطتِ».

وضع كريس بعنف فوق كرسي قبل أن يقف مجدداً ويترك الغرفة. لحسن حظ كريس، لحقه الكلب على الفور.

رمشت كريس بعينيها وهي تشعر بدوار خفيف. شعرت بالسعادة لابتعادها ولو لوقت قصير عن ذلك الرجل ذي الشخصية التي لا تطاق وكذلك عن كلبه. . . احتاجت إلى ثانيتين فقط لتدرك أن هذا الوقت هو الوقت المناسب كي تهرب.

لقد وضعها الرجل في مطبخ، ما كانت لترى مثله حتى في أحلامها. لم تتوقع أن تجد مطبخاً كهذا داخل هذا القصر القديم المتداعي. . . إنه عبارة عن غرفة رائعة الجمال، حيث الرفوف مصنوعة من خشب السنديان الأنيق، وحيث هناك مدفأة ذات لون أخضر داكن تبعث الدفء في الغرفة مبددة الصقيع الذي يسود المنطقة في الخارج. في وسط المطبخ، رأت طاولة كبيرة من خشب السنديان بالقرب منها كل الأدوات التي قد يخطر في بال امرىء أن يستخدمها في المطبخ. أما الأرضية فهي ذات لونين: بني وعاجي، والكرسي الذي جلست عليه مصنوع من خشب السنديان مثل طاولة الطعام.

- لم تتوقعي رؤية المكان هكذا؟

أدركت كريس أن دهشتها بالمكان المحيط بها جعلتها تفقد قدرتها على الهرب. التفتت لتنظر بعبوس نحو مضيفها.

وقف الرجل بقامته الطويلة عند الباب يراقبها، فأخذت تنظر نحوه بذهول. لقد تبدل مظهره تماماً، فقد مشط شعره الأشعث، ونزع عنه تلك السترة السوداء، وارتدى سترة من الكشمير الناعم ذات لون أخضر غامق. أدهشها التغيير الذي رأته في مظهر ذلك الرجل، تماماً كما

أدهشها جمال المنزل من الداخل. لكن التبدل الذي طرأ على مظهر الرجل لم يجعلها تشعر بارتياح أكبر نحوه.

ظهر ارتباكها في تعابير وجهها: «لمَ تتعمد إعطاء انطباع في الخارج أن المنزل غير مأهول؟».

رفع حاجبيه الداكنين، وتوجه نحو المدفأة ليضع فوقها إبريقاً لتسخين الماء، ثم التفت نحو كريس ليسألها ببرودة: «لماذا برأيك؟».

بدا الرجل أكثر شباباً الآن، فهو لا يظهر لها محاطاً بالضباب، ولا يرتدي تلك الثياب القديمة الداكنة. لم تبدُ على وجهه أي تجاعيد، وقدرت كريس أنه في العقد الثالث من العمر. في الواقع، الآن وهي تراه بوضوح، وجدت فيه معالم مألوفة جداً لديها. إلا أن الرجل لا يثير لديها أية مشاعر أليفة تجعلها تغض النظر عن نظرات السخرية في عينيه الخضراوين.

كشرت كريس وهي تقول: «كي تحرج الفتيات ذوات المخيلات الواسعة، وترغمهن على الدفاع عن أنفسهن بضراوة...؟».

بدت على وجهه ابتسامة أظهرت أسنانه البيضاء، وأكد لها برضى: «هذا هو السبب الأوّل».

ثم اتجه نحو المدفأة ليرفع الإبريق الذي بدأ يغلي وسألها: «أتفضلين القهوة أم الشاي؟».

بعد الأفكار التي ساورتها منذ دقائق قليلة، بدا العرض المهذب لتناول شراب ساخن سخيفاً. أم تراها هي وأفكارها سخيفان...؟!

قبلت عرضه قائلة: «قهوة. شكراً لك».

تناول فنجاني قهوة عن الرف وهو يدير ظهره نحوها. خلعت كريس قبعتها عن رأسها ونزعت الوشاح عن رقبتها، بعد أن أصبحت الآن تشعر بالدفء.

سألته وهي ما تزال تشعر ببعض التوتر: «أين ميرلن؟».

قال بقلة اهتمام: «أعتقد أنه يطارد الأرانب. أخرجته من الباب

الأمامي منذ بضع دقائق».

شعرت كريس بالذهول بسبب الراحة التي يوفرها هذا المكان، والدفء الذي رحب بها بعد ساعات طويلة من القيادة في البرد عبر الضباب. جلست في كرسيها إلى الخلف وأغمضت عينيها، تتنعم بذلك الدفء.... انتبهت فجأة إلى السكون الذي ملأ المكان، فعاد جسدها إلى التوتر، وكأن تياراً كهربائياً مرّ في داخلها.

التفتت مجدداً نحو مضيفها، وتلون خداها حين رأت الطريقة التي أخذ يحدق بها عبر الغرفة. عرفت كريس ما الذي تمكن الرجل من رؤيته الآن؟ فشعرها الطويل الأشقر انسدل كالحرير فوق ظهرها، وأصبح لونه أكثر جمالاً فوق معطفها الأسود. رأى الرجل عينيها الرماديتين وخط النمش المنتشر كالجسر فوق أنفها، وفمها العريض الذي لم يكن يبرز أيّ ابتسامة في تلك اللحظات.

ابتلعت ريقها ورفعت ذقنها بتحدٍ وقالت بنبرة ساخرة: «أيختلف مظهري عما توقعت رؤيته؟».

ضاقت عيناه بشكل جليدي وهو يقول: «لم أتوقع رؤيتك مطلقاً!»

إنه فعلاً لا يلاحظ مظهرها الجميل! إنه لم يكن يتوقع قدومها، إلا أن هناك شخص آخر بانتظارها، لذا عليها إيجاد عذر ما لترحل من هنا في الحال. وقفت وهي تقول: «ربما من الأفضل ألاّ تزعج نفسك بصنع القهوة. ففي النهاية...».

وضع فنجان القهوة على الطاولة أمامها وهو يقول: «لقد انتهيت من صنعها الآن».

أصبح الآن يقف قريباً جداً منها ما جعلها تشعر بعدم الارتياح. ألحّ عليها قائلاً: «يبدو أنك تشعرين بالبرد. هيا اشربيها!».

لمَ ضايقتها نبرة صوته الدكتاتورية؟ على أي حال، بما أنها ليست واثقة بعد بالرجل فمن الأفضل لها أن تطيعه ولا تعارضه أبداً.

جلس قبالتها عبر الطاولة، وراح ينظر نحوها متفحصاً وهو يشرب من

فنجانه. جلست كريس مكانها مجدداً، واعترفت بصعوبة لنفسها بأن رائحة القهوة الشهية تغلغلت في حواسها وأغرتها. بالإضافة إلى أن ميرلن في الخارج، ما يجعل من المستحيل عليها المغادرة من دون حماية هذا الرجل.

قال الرجل من دون أن ينظر نحوها حتى: «لديك مخيلة واسعة وعقل مشكك. يا لهذا المزيج المميّز!».

هزّ رأسه باشمئزاز قبل أن يرشف المزيد من القهوة الساخنة. نظر نحوها محدّقاً وهو يرفع حاجبيه الداكنين ثم تابع ممازحاً: «أتساءل ما الذي ستفكرين فيه بعد؟ ربما دسست بعض المخدر في شرابك، كي لا تقاوميني حين أحملك إلى الطابق العلوي لكي أنال مبتغاي منك».

تلون خداها باللون الأحمر الناري وهي تسمع السخرية في نبرة صوته، لكنها ظلّت تحدق بقلق بالفنجان الموضوع على الطاولة أمامها.

تابع الرجل الكلام بصوته اللطيف المخادع: «أخبريني، هل تشاهدين التلفزيون كثيراً؟».

بدا المغزى من كلامه واضحاً جداً! لكن كما سبق وأخبرته، لم تكن نصف الساعة الماضية سهلة عليها. لقد وجدت نفسها فجأة وجهاً لوجه مع كلب يبدو كالوحش الشرس، وفي مواجهة رجل غريب المظهر يقوم بحفر قبر، ما أعطاها انطباعاً بأنه أكثر شراسة من كلبه.

مخيلتها واسعة بالفعل!

ابتسمت بتكلف وقالت: «في الواقع أنا لا أملك تلفزيون حتى!».

كشر وهو يقول: «إذاً، ربما عليك شراء واحد!».

بدا لها من الصعب الفوز عليه بالكلام. أجابته مدافعة عن نفسها: «لكنني أقرأ كثيراً، خصوصاً لأغاثا كريستي».

جلس بارتياح إلى الخلف وهو يراقبها بعينين غامضتين وقال: «إذاً، بالتأكيد يبدو لك هذا المكان أفضل مسرح للجريمة. قصر مهجور يحرسه كلب شرس ويقطن فيه رجل غامض غير مرحب بالضيوف».

في الظاهر يبدو كل ما قاله صحيحاً! هذا بالضبط ما فكرت به في البدء. لكن الآن في هذا الجو الدافىء والمريح ومع القهوة الساخنة أمامها، لم يعد ذلك الرجل يبدو مخيفاً. لقد اكتشفت من نبرة صوته أنه رجل مثقف، واكتشفت أيضاً حين خلع ثياب العمل أنه يرتدي ثياباً من ماركات مشهورة.

أما بالنسبة للكلب... حسناً! إنه على الأقل في الخارج في هذه الأثناء. أما القصر بحد ذاته، فلم تفهم بعد سبب هذا التناقض بين حالته المزرية من الخارج والرفاهية البالغة من الداخل.

أخذت نفساً عميقاً، ورفعت حاجبيها الشقراوين بتساؤل: «أيها السيد... لا أعتقد أنني تعرفت على اسمك...؟».

التقت نظراتهما لكنه أجابها بقسوة: «بالطبع. فأنا لم أعرّفك به بعد».

تباً له...! إنها تدرك ذلك تماماً، لكنها اعتقدت أن التصرف بتهذيب معه... بتهذيب؟ بِمَ تراها تفكر...؟ لا يملك الرجل أية ذرة من الإحساس الذي يجعله يتعامل معها بلطف، فكيف تتوقع منه أن يعرّفها بنفسه.

أضاف قائلاً: «وأنت أيضاً لم تعرفيني بنفسك».

إنه محق! قررت كريس بعناد أنه ما من داع أبداً ليتعاملا مع بعضهما بلطف. بالإضافة إلى أنها شعرت بعدم رغبتها بإخبار الرجل عن نفسها أكثر مما يعرفه عنها حتى الآن.

وقفت وهي تضع الوشاح حول رقبتها مجدداً. نظرت عبر النافذة ورأت الظلام يزداد عبر الضباب، فقالت: «لقد تأخر الوقت. وهناك مكان آخر عليّ الوصول إليه».

لاحظت أن الرجل لم يبدِ أية ردّة فعل ليقف ويرافقها إلى الخارج، فأضافت تقول: «ألديك مانع في مرافقتي إلى السيارة؟ قد لا يستقبلني ميرلن في الخارج بلطف إن رآني بمفردي».

في الواقع كانت كريس متأكدة أنها لن تتمكن من الخروج من الباب

الرئيسي مطلقاً إن لم يأتِ هذا الرجل برفقتها.

ردّ مضيفها بجفاء: «على الأرجح لا... ليس لدي مانع».

حبست كريس أنفاسها وهي تنتظر خطوته التالية. فإن وقف ليرافقها إلى سيارتها ستتأكد أن كل الأفكار التي راودتها بشأنه هي فعلاً من نسج مخيلتها الواسعة، لكن إن لم يتحرّك من مكانه...

ارتجفت بعصبية حين رنّ جرس الهاتف بنزق مخترقاً الصمت السائد، ما جعل قبعتها تقع على الأرض.

قال الرجل ساخراً وهو يقف، وقد أخذت عيناه تلمعان من الضحك: «إنه فقط جرس الهاتف!».

لا شك أنها أصيبت بالإرهاق بعد أن قادت سيارتها عبر الضباب لساعات طويلة، ما جعل أعصابها متوترة. ولا شك أن لقاءها بهذا الرجل وكلبه الضخم زاد من توترها.

أجابت قبل أن تنحني بنفاد صبر لتلتقط قبعتها: «أعرف تماماً ما هو هذا الصوت!».

علا وجهها اللون الأحمر حين وقفت ورأت أنه ما زال يراقبها. لاحظت أنه لم يتحرك ليرد على الهاتف فسألته بعبوس: «ألن تجيب على الهاتف؟ قد يكون أمراً هاماً».

هزّ كتفيه بلا مبالاة وقال: «ربما!».

زاد صوت الهاتف الرتيب من توتر أعصابها، فقالت بحدة: «إذاً؟».

أمال الرجل رأسه قليلاً وهو يصغي إلى صوت الهاتف، ثم هزّ رأسه بقوة حين توقف عن الرنين.

قالت كريس برضى: «لقد توقف الآن!».

هزّ رأسه مجدّداً وقال: «رن اثنتي عشرة مرة، قبل أن يقفل الخط».

- اثنتا عشرة مرة...؟ لكن...

سكتت كريس عن الكلام حين عاد الهاتف يرن مجدداً.

أخبرها الرجل وهو يتوجه نحو الهاتف ليجيب: «حين يرن اثنتي عشرة

مرة، ثم يقفل الخط، ثم يرن من جديد، فهذا يعني أن أحد أفراد العائلة يطلبني».

عبست كريس حين سمعت هذا التفسير. كيف لها أن تعرف كم مرة رن ذلك الجرس؟ كما أنها لم تتوقع أيضاً أن الرجل يعدّ الرنات.

سمعت نفسها تسأله دون تفكير: «وإن لم يرن اثنتي عشرة مرة؟».

وضع يده فوق سماعة الهاتف وهو يجيب باختصار: «إذاً، فلا أحد يجيب!».

فكّرت كريس وهي تهز رأسها بشكل خفيف: يا له من رجل غريب! إنه يعيش في هذا القصر المهجور في عزلة عن العالم بأسره باستثناء ذلك الكلب الذي يبدو بحجم حصان صغير، ولا يجيب على الهاتف إلاّ بعد أن يتأكد أنه من أحد أفراد عائلته. من الواضح أنه يجد التواصل مع أي شخص آخر بمثابة اقتحام غير مرغوب فيه، ورغم هذا كله فهو يشعر في الوقت نفسه بالحزن لموت كلب شريد لدرجة تجعله يحفر له قبراً في هذا البرد القارس!

رفع السماعة بيده، وقوس حاجبيه بسخرية: «هل بإمكاني الرد الآن؟ أم أن لديك المزيد من الأسئلة قبل أن أفعل؟».

شعرت كريس مجدداً بخديها يتوردان من الخجل وقالت بجفاء: «تفضل!».

أشاحت ببصرها عن وجهه الساخر لتنظر في أرجاء المطبخ. تمنت لو كان بإمكانها أن ترحل فيما هو يتكلم عبر الهاتف، لكنها أيقنت أن ميرلن لا يزال بانتظارها في الخارج. بالإضافة...

وضعت نهاية لأفكارها حين سمعت ما أثار اهتمامها في حديث ذلك الرجل.

قال لمحدثه عبر الهاتف: «كفي عن تقديم الأعذار مولي، وأخبريني متى تتوقعين أن تصلي إلى هنا؟ ... بعد غد؟».

بدا واضحاً أنه كرر الجواب الذي سمعه...

أضاف بسخط: «وما الذي تتوقعين مني أن أفعله إلى أن تحضري؟».

بدأت كريس تحدق فيه بعينين واسعتين، غير مصدقة ما تسمعه. مولي؟! نادى محدثته مولي!

قال بقسوة حين سمع إجابتها: «مضحك جداً!».

رمق كريس بنظرات غاضبة حين أدرك أنها تصغي باهتمام إلى حديثه، وتابع قائلاً: «اسمعي مولي، هذا لم يكن جزءً من اتفاقنا. وافقت على استقبال كريس هنا لبضعة أيام على أن تُبقي والديّ بعيدين عني ليلة عيد الميلاد... نعم أعلم أنك دعوتهما للبقاء معك في نيويورك، لكن ذلك لا يعني أن تلزميني باستقبال الرجل لوحدي بينما... ماذا قلت؟».

جمد الرجل فجأة في مكانه وبدا أكثر خطورة من السابق.

أجفلت كريس وهي تحاول أن تتخيل ما أخبرته به مولي للتو. لقد نادى محدثته مولي، وهي تعيش في نيويورك... من الصعب جداً أن تكون كريس قد أخطأت بالاستنتاجات التي وصلت إليها.

هذا الرجل هو سام بارتون... أمر لا يصدق! إنه شقيق مولي! حتى تلك اللحظة كان سام يظن أن مولي ستحضر رجلاً يدعى كريس ليبقى معه بضعة أيام. لكنها متأكدة أن مولي صححت له للتو معلوماته!

شعرت كريس بنظراته الزمردية تحدق بها الآن، لذا أبقت عينيها بعيدتين عن عينيه القاسيتين اللتين توجهان إليها اتهاماً مخيفاً!

إنه موقف سيء! لم تتخيل مطلقاً وضعاً أسوأ من هذا في حياتها!

هذا الرجل هو شقيق مولي الأكبر... شقيقها الذي تحبه بجنون!

لقد وافقت كريس بعد مقاومة طويلة، وبعد إصرار مولي عليها، بأن تمضي بضعة أيام برفقتها في منزل أخيها في يوركشاير. لكن مولي طيبة ومعطاءة وتبديّ اهتماماً شديداً بها، وهي بالفعل أفضل صديقة حصلت عليها في حياتها... أما هذا الرجل... شقيق مولي... فيبدو أنه لا يملك أية صفة من صفات أخته.

أصبح سام يتكلم بجفاء مع أخته الآن: «لا، مولي... لن أخيف

صديقتك بانطباعي المرعب كي تهرب حين تراني. نعم سأخبرها كم أنت آسفة لأنك لم تكوني هنا عند وصولها. نعم سأرحب بها كثيراً».

ظهر نفاد صبره في نبرة صوته بوضوح الآن، وهو يكرر من بعدها ببطء: «أتعامل بلطف معها؟».

نظر بعينيه الخضراوين بسخرية إلى وجنتي كريس المحمرتين خجلاً، وأردف قائلاً: «ماذا تظنين مولي؟».

شعرت كريس بالهلع... لا يهم ما تظنه صديقتها. لقد تأكدت بنفسها أن اللطف ليس جزءً من طبيعة هذا الرجل.

أطلق سام فجأة ضحكة خافتة وهو يقول: «سأقوم بما في وسعي».

سيقوم بما في وسعه...؟ لقد أرعبها بما فيه الكفاية، وأخرج الحياة منها منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها. أخذ يسخر منها منذ تلك اللحظة... لذا من المستحيل أن توافق على قضاء يومين برفقته وهي تنتظر وصول مولي!

تقدمت خطوات إلى الأمام وهي تقول: «هل بإمكاني أن...؟».

أنهى سام المكالمة بجزم قائلاً: «نعم، مولي. سأتذكر بأن أخبر كريس عن مدى أسفك. نتحدث لاحقاً».

ثم وضع سماعة الهاتف مكانها وأقفل الخط. التفت مجدداً نحو كريس وراح يرمقها بنظرات التحدي.

حدّقت كريس به بعينين واسعتين قلقتين. ففي النهاية معرفتها بأنه شقيق مولي لم تبدّد شيئاً من خوفها المتزايد أبداً.

٣ - زهرة تُرجع الذكرى

استجمعت كريس شتات أفكارها ثم قالت بتردد: «كنت تكلم مولي، أليس كذلك؟».

التوى فمه بسخرية وقال: «يا لهذا الذكاء الخارق... لقد استخدمت اسمها عدّة مرات وأنا أكلمها».

قررت كريس تجاهل سخريته، فلن ينفعها أبداً أن تفقد أعصابها.

قالت بحدة: «هل أنت شقيقها سام؟».

إنهما لا يشبهان بعضهما مطلقاً! مولي قصيرة القامة ذات شعر أحمر وعينان بنيتان دافئتان، وجهها جميل مشرق، وهي إحدى المخلوقات الأكثر لطفاً ممن رأتهم في حياتها. أما سام بارتون فهو أبعد ما يكون عن تلك الصفات.

قال بسخرية من جديد: «في الواقع، أنت تفوقين أينشتين ذكاءً!».

رغم قرارها بضبط أعصابها، شعرت كريس بالغضب يتصاعد في داخلها. تلوّن خداها باللون الأحمر الداكن، وفكرت أن الوضع سيء من دون تعليقاته الساخرة!

- سيد بارتون...!

قاطعها قائلاً: «نادني سام. إذاً، أنت كريس؟».

تابع بعد أن رآها تهز رأسها مؤكدة كلامه: «وهو اختصار لأي اسم؟».

أجابت مجبرة وهي تعتبر سؤاله غير مناسب في هذه الظروف: «كريستال».

راح يتأملها بنظرات لا ترحم من عينيه الخضراوين من قدميها حتى شعرها الأشقر اللامع. أخيراً علّق قائلاً بنبرة مهينة: «اسم على مسمى».

ردّت بحدة: «لِمَ تقول هذا؟».

هزّ كتفيه العريضتين وقال: «يبدو جسدك نحيلاً، يمكن لنسمة هواء أن تطرحك أرضاً».

ردّت قائلة: «قد تكون المظاهر خداعة!».

قالت ذلك مشيرة إلى تعليقه السابق عن ميرلن.

ظهرت ابتسامة غير محببة على فمه وقال: «أمر مؤثر!».

أدركت كريس أنها خسرت الكثير من الوزن في العام الفائت بسبب الحزن والجهد الكبيرين. عكس ضعف جسمها وطولها المتواضع الذي لا يزيد عن خمسة أقدام هشاشة لم تكن لديها من قبل. أصبح وجهها نحيلاً وقد نتأت عظمتا خديها بالقرب من عينيها الرماديتين. لم يبقَ سوى فمها الممتلىء على شكله السابق.

أملت أن تساعدها الأيام القليلة التي ستمضيها في يوركشاير مع مولي على التخلص من حزنها. لكن هذه الدقائق القليلة التي أمضتها مع شقيق مولي أكدت لها أن ذلك لن يحدث أبداً!

قال سام: «حسناً، كريس! يبدو أنه لا مكان آخر تقصدينه الآن».

هذا ما يعتقده هو!

- فهمت مما قلته أن مولي لن تأتي قبل يومين.

حتى ابتسامته الباهتة اختفت الآن وقال مكشراً: «ما فهمته صحيح تماماً».

ثم شرح لها باختصار: «هناك تمرينات جديدة لفيلمها الذي ستبدأ بتصويره الشهر القادم».

ثم حمل فنجانه الفارغ ليملأه من جديد.

أدركت كريس أن عدم لياقته بعرض ملء فنجان آخر لها من قبل هو نتيجة قضائه معظم وقته بمفرده، لذا لم يكن معتاداً على الاهتمام بحاجات

ضيوفه. لكنها بالطبع لن تكترث أصلاً لعدم اهتمامه. وهي تدرك أيضاً أن جدول أعمال مولي يكون أحياناً غير متوقع لأنها ممثلة، لذلك قرّرتا المجيء منفصلتين إلى يوركشاير.

- حسناً! بما أن مولي لن تأتي قبل يومين، أعتقد أن من الأفضل أن...

قاطعها سام وهو يهز رأسه: «آمل أنك لا تقترحين الذهاب إلى فندق ما. لن تسامحني مولي أبداً إن سمحت لك بالذهاب».

الآن أتى دور كريس لإبراز ابتسامة باهتة فقالت بسخرية: «وأنا واثقة أن ذلك سيزعجك!».

أجاب بصراحة: «في الواقع، نعم، سيزعجني ذلك».

أصبح صوته أجش وهو يتابع: «مولي عزيزة جداً عليّ. إنها... مميزة».

ثم أضاف أخيراً: «وأي صديق لها مرحب به كثيراً هنا».

وافقته كريس بصمت أن مولي فعلاً إنسانة مميّزة. لقد التقتها منذ عشر سنوات في المدرسة، وكانت مولي قد انضمت حديثاً إلى تلك المدرسة. لو قام أي تلميذ آخر بتغيير مدرسته لشعر بالضياع، وبأنه في المكان غير المناسب قبل أن يتأقلم على الأجواء الجديدة. لكن طبيعة مولي جعلتها تتصرف بسرعة وكأنها في منزلها حيثما تواجدت. أصبحت الفتاتان صديقتين بسرعة وأصبحتا تمضيان معظم أوقاتهما معاً خلال العام الدراسي.

رغم فضولهما لزيارة بعضهما البعض في منزليهما خلال العطل إلاّ أنهما لم تفعلا ذلك. لو قامت كريس بزيارتها في ذلك الحين لشعرت بالتأكيد بعدم الارتياح لوجود شقيق مولي الذي كان يبلغ في ذلك الوقت اثني عشر عاماً!

سألته كريس: «إن لم أكن مخطئة... أنت ظننت أن كريس رجل وليس فتاة، أليس كذلك؟».

- أصرّت مولي كثيراً أن أكون لطيفاً ومهذباً مع ذلك الضيف بالتحديد. بدا من المهم لها أن أرحب جيداً بكريس لذا من الطبيعي أن أتصور بأنه رجل في ظل تلك المعطيات.

شعرت كريس بالفرح لاهتمام صديقتها الواضح براحتها، لكن ذلك لن يغيّر الوقائع. سام بارتون يستضيف الآن فتاة وليس رجلاً كما كان يتوقع. ومولي لن تأتي قبل يومين...

تقبلت كلامه وقالت: «هذا لطف من مولي. لكن تأخر وصولها سيغيّر الخطة...».

عبس وهو يقول: «لأنك امرأة ولست رجلاً، كما توقعت؟ لِمَ سيغيّر هذا خطتك؟».

الأمر واضح جداً حتى لرجل يعيش بعيداً عن العالم. كريس لم تفكر مطلقاً أنهما سيكونان بمفردهما هنا لبضعة أيام. رغم تخيلاتها الكثيرة حين وصلت، إلاّ أن هذا الرجل لم يبدِ أي انطباع بأنه وجدها جذابة، فكيف بأن يفكّر بأمور أخرى. من الواضح أنه رجل يفضل البقاء بعيداً عن الناس، باستثناء مولي على الأرجح. فكيف سيتمكن من استقبال شخص غريب في منزله لعدة أيام؟

رغم الكلام الجميل والصفات الجيدة التي طالما استخدمتها مولي لوصف شقيقها الأكبر، بدا بالتأكيد من الغريب جداً أن يعيش رجل في الثامنة والثلاثين من عمره بمفرده في منزل متداع في يوركشاير. وهو منزل غريب أيضاً، ويبدو مهملاً وقديماً من الخارج، أما من الداخل فلا تنقصه أسباب الرفاهية مطلقاً.

بالإضافة إلى ذلك لم تشعر مولي بالارتياح له أبداً، فبدا لها من المستحيل أن تتمكن من قضاء بضعة أيام لوحدها برفقته.

- لطف منك أن تعرض علي البقاء، سيد بارتون...

قاطعها قائلاً: «اسمي سام».

ثم لوى فمه بسخرية وتابع: «... وأنا واثق أنك تدركين أن اللطافة

ليست جزء من طبيعتي».

آه، نعم! إنها تدرك ذلك.

هزّت رأسها وقالت: «في مطلق الأحوال...».

قاطعها مجدداً بحدة وقال: «كما أشرتِ أنت سابقاً، لقد تأخر الوقت، وعليّ أن أخرج إلى الحديقة قليلاً... لأكمل ما كنت أقوم به. لمَ لا تتصرفين وكأنك في منزلك لمدة ساعة، وبعدها سأعود لنتكلم بهذا الموضوع من جديد؟».

لم يكن لدى كريس أدنى شك بأنه قد يقدم على رميها أرضاً دون رحمة، لكنها تذكرت أنه رغم ذلك يملك شفقة تجعله يخرج في الصقيع ليدفن كلباً شارداً وجده ميتاً هذا الصباح...

دعاها لسكب المزيد من القهوة قائلاً: «اسكبي فنجاناً آخر من القهوة واجلسي بجانب المدفأة. وسنناقش الأمور لاحقاً. موافقة؟».

بدا موضوع القهوة والمدفأة مريحاً لكريس لكن مناقشة الأمور لاحقاً أمر صعب، فهي ببساطة لن تتمكن من البقاء هنا مع هذا الرجل. قد يكون شقيق مولي، ومن الواضح أنها تعشقه، لكن كريس لم تكن واثقة أنها ستتحمله!

نظرت نحوه فإذا بعينيه الخضراوين ما زالتا تحدقان بها. لكن تعابير وجهه لم تعكس أبداً ما كان يفكر به.

نظرت كريس نحوه الآن وهي تدرك أنه شقيق مولي المحبوب، محاولة بيأس أن ترى الرجل الذي حدثتها عنه صديقتها بمحبة وفخر. إنه كاتب وهي تعرف الكثير عنه رغم أنها لا تعرف نوع الكتب التي يؤلفها. مهنته قد تفسر إلى حد ما لما اختار العيش في مكان بعيد... لكنها لا تبرر سبب إهماله للمنزل من الخارج.

لا...! تبدو الأمور غير مقنعة في ظل هذه الظروف... وهي ليست مستعدة لإضافة أحداث مؤسفة جديدة على لائحة أحداث السنة الماضية.

قال سام فجأة: «سيخيب أمل مولي إذا ما اتصلت مجدداً وأخبرتها

أنك فضلت النزول في فندق إلى أن تصل هي إلى هنا».

تساءلت كريس بفزع: هل تبدو أفكارها شفافة إلى هذه الدرجة؟ إذ كانت ستقول له إنها ستنزل في فندق ما حتى قدوم مولي. لكنه محق بشأن خيبة أمل مولي. لن تفهم صديقتها بالتأكيد السبب الذي أجبرها على الذهاب إلى فندق بدلاً من انتظارها هنا.

هزّت كريس رأسها: «أنت لا تريدني حقاً أن أبقى».

كشرت وهي تفكر أنه بالتأكيد لا يرغب بأي رفقة. ورفقتها بالتحديد هي آخر ما يريده. فبرغم كل شيء، لقد أعطى رأيه بها بوضوح حين وصلت إلى هنا.

أكد لها بجفاء: «لا! أنا لا أريد ذلك، لكنني سأتحمل وجودك من أجل مولي فقط».

أراد أن يجعلها تفهم أن عليها هي أيضاً أن تبقى هنا فقط من أجل مولي.

إنه محق طبعاً، فمولي صاحبة أطيب قلب في العالم، وقد دعتها للمجيء إلى هنا كي تنسيها أحداث السنة الماضية، لذا فإن عدم بقائها هنا هو تعبير عن عدم امتنانها لمولي.

نصحها سام بقسوة: «كما قلت لك... فكري بالموضوع».

خرج من الغرفة وهو يمشي بخطى واسعة، وما لبثت أن سمعت صوت الباب الأمامي يُغلق بعنف قبل أن تسمع نباح ميرلن يرحب بصاحبه.

تنهدت كريس بارتياح حين أصبح سام خارج الغرفة. جلست ممتنة لخروجه محاولة استجماع أفكارها ثانية.

يا لحظها العاثر!

إنها أوّل مغامرة اجتماعية لها منذ وقت طويل، وهي عالقة مع أكثر الرجال فظاظة من بين الذين رأتهم في حياتها، وفي مكان يبعد أميالاً عن التحضّر، أو على الأقل هذا ما تمكنت من استنتاجه بوجود الضباب الذي بدا كالشرنقة التي تعزلهما عن العالم.

ستبدو فظة جداً إن أصرت على الرحيل في هذا الطقس، وسيبدو بوضوح أنها تهرب من سام بارتون!

ألم تكن تفعل ذلك فعلاً؟ ألم يفقدها ذلك الرجل أعصابها إلى حد الانهيار؟ لقد...

التفتت إلى الداخل حين سمعت الباب الأمامي يفتح ثم يغلق بقوة. أصبحت نظراتها قلقة حين رأت ميرلن آتياً نحو المطبخ برفقة صاحبه. بدا الكلب ضخماً فعلاً كما رأته في الخارج، وقد ملأ معظم مساحة فتحة الباب. وقف فجأة حين رآها وعاد يصدر صوت دمدمة وهو ينظر إليها بعداوة بنظرات شرسة.

أزاح سام الكلب من طريقه كي يتمكن من الدخول إلى المطبخ. قال مخاطباً الكلب بنفاد صبر: «إنها صديقتي، ميرلن».

ثم تابع يكلّم كريس: «أظنني سأكمل مهمتي غداً صباحاً، وآمل أن أرى جيداً ما أقوم به».

قالت بنبرة سطحية: «أصبح الضباب كثيفاً، أليس كذلك؟».

تمنت أن يكون الكلب قد فهم معنى كلمة صديقة كي يغيّر طريقة تصرفه...

بدت نبرة صوت سام حادة، تماماً كما بدا صوت كلبه من قبل: «لا يمكنني أن أدع ميرلن يبقى خارجاً في ليلة كهذه».

فهمت كريس ما يقصده بكلامه، فرمقته بنظرات حادة، وقالت: «في هذه الحالة، سأقبل دعوتك اللطيفة، وأبقى هنا».

ثم أضافت بسرعة حين رأت تكشيرته التي تعبّر عن رضاه: «فقط هذه الليلة».

هزّ رأسه وهو يقول بسخرية: «على الأقل قررت ألاّ تضيفي صفة الغباء إلى الصفات الأخرى الواضحة في شخصيتك».

أدركت كريس بسهولة أنه يقصد عيوباً وليس صفات. لكن... عليه أن ينظر إلى نفسه ليرى عيوبه أولاً!

أخذت نفساً عميقاً، بعد أن شعرت بألم في كتفيها ورقبتها بسبب الساعات الطويلة التي أمضتها في القيادة، بالإضافة إلى أن البرد اخترق عظامها بسبب نحول جسمها في الفترة الأخيرة.

قالت له: «أبإمكانك إرشادي إلى المكان الذي سأنام فيه؟ عندها سأتمكن من الذهاب إلى سيارتي لإحضار حقيبتي، وأعود لآخذ حماماً ساخناً».

أجابها سام بجفاء: «بالطبع. نسيت أن أسألك... هل تجيدين الطهو؟».

عبست كريس قائلة: «عفواً؟».

رفع حاجبيه وهو ينظر باتجاهها متفحصاً: «لا بد أنك لاحظت أنني أعيش بمفردي، لذا فأنا أطهو وجباتٍ سريعة معظم الأوقات. لكن تلك الأطعمة تصبح مملة مع الوقت. حين تأتي مولي تقوم عادة بالطهو لي».

بكلمات أخرى عليها أن تقوم بإعداد العشاء لها وله!

أجابت وهي ترى تكشيرته مؤكدة له بجفاء: «نعم سيد... سام. يمكنني أن أطهو. هل هناك طعام معين تود تحضيره؟».

أجاب بسرعة: «تعد مولي عادة طبقاً من السلمون كمقبلات، ثم تقدم طبقاً من فيليه لحم العجل المحمّر».

بذلت كريس جهداً لتمنع ظهور الابتسامة على وجهها. على أي حال هي لا تملك أسباباً كثيرة لتبتسم. قالت: «حسناً...! وهل أفهم من كلامك أن مكونات هذين الطبقين بالذات موجودة لديك؟».

أكد لها بنبرة سطحية: «نعم، كلها موجودة في الثلاجة».

كما توقعت تماماً. آه، حسناً! ربما الطهو هو أقل ما يمكنها تقديمه مقابل تقديمه لها سقفاً تبيت تحته، في ظل العوامل الجوية الخارجية السيئة.

رمى سام سترته فوق كرسي خشبي وتوجه نحو باب المطبخ قائلاً: «إذا كنت قد أنهيت شرب القهوة سآخذك إلى الطابق العلوي».

حملت كريس قبعتها ووشاحها ولحقت به إلى خارج الغرفة. شعرت

بالفضول لرؤية بقية أرجاء المنزل. لا بد أنه سيبدو...

وقفت كريس وهي تشعر بالذهول حين وصلت إلى الصالة الخارجية الواسعة. رأت طاولة من خشب السنديان تتوسط الغرفة ودرجاً من خشب السنديان أيضاً يوصل إلى الطابق العلوي. لكن ما جعلها غير قادرة على الكلام لشدة ذهولها، هو السقف المزخرف والثريا الضخمة المتدلية منه المصنوعة من الكريستال.

لم تلفتها الزخرفة الفخمة بالألوان الذهبية فحسب، بل معرفتها بصاحب تلك الأعمال الرائعة.

شهقت بذهول، غير قادرة على إبعاد نظرها عن العلامة المميزة التي تعرّف بالرسام: «جايمس!».

سألها سام بنفاد صبر: «ماذا قلت؟».

ثم وقف مكانه عند الدرج العريض حين أدرك أنها لم تعد تلحق به.

رمشت كريس بسرعة وهي تعبس ملتفتة نحو مصدر الصوت. لزمها عدة ثوانٍ قبل أن تعود إلى الواقع. بللت شفتيها الجافتين، وتمكنت أخيراً من تمتمة بضع كلمات فقالت: «أنا كنت... جايمس ويبر هو المصمم الداخلي للمنزل!».

لقد تواجد جايمس هنا من قبل، وعمل في هذا المنزل. على الأرجح أنه وقف تماماً في المكان الذي تقف فيه هي الآن، وقدّر أعماله الفنية تماماً كما تفعل هي الآن أيضاً.

هزّ رأسه مؤكداً كلامها وقال: «نعم، هذا صحيح. لكن... كيف عرفت ذلك؟».

كاد يغمى عليها للمرة الثانية اليوم. علمت أن وجهها غدا شاحباً بصورة دراماتيكية، لكنها لم تجرؤ على الاستسلام للإغماء وهي برفقة هذا الرجل ثانية، وإلاّ سيندم على لقائه بها منذ البدء.

شعرت بالصدمة لرؤية أعمال جايمس، ولأنها اكتشفت بأنه تواجد هنا من قبل، وربما في نفس البقعة التي تقف فيها. لم تتمكن من منع

نفسها من السؤال: «متى فعل هذا؟».

جايمس لم يخبرها يوماً أنه زار قصر شقيق مولي في يوركشاير.

عاد سام أدراجه نزولاً عبر الدرجات الست التي صعدها، ليعود إلى المكان الذي تقف فيه. ضاقت عيناه الخضراوان وهو ينظر نحوها بحذر: «منذ ثلاث سنوات».

كرر سؤاله بإصرار حين أصبح بجانبها: «سألتك كيف عرفت أن التصميم الداخلي من عمل ويبر؟».

ابتسمت كريس بتأثر وهي تنظر حولها، ثم تمتمت بحزن: «أعماله مميزة جداً ألا تعتقد ذلك؟».

قال سام: «أعماله مميّزة جداً! لكن ذلك لا يجيب عن سؤالي».

اتجهت نظراتها بانزعاج نحو وجه سام المتسائل. وتفاجأت بنظرات الشك التي رأتها بسهولة، فقالت بهدوء: «لا تكن متوتراً وقلقاً سيد... سام. هل ترى تلك الزهرة الصفراء الصغيرة في القبة؟ عند الزاوية اليسرى؟».

أشارت له بيدها حين نظر إلى الأعلى، وتابعت: «يرسم جايمس دائماً هذه الزهرة في مكان ما في أعماله. كانت هذه علامته المميزة».

كرر سام بعدها: «كانت؟».

قالت كريس باختصار: «لقد توفي».

ثم ابتلعت ريقها بصعوبة، وأجبرت نفسها على البقاء هادئة. فهي في النهاية تتكلم عن واقعة حدثت ولن تتغير. وتابعت تقول: «منذ سنة... أصيب بالسرطان».

أجاب سام ببطء: «لم أكن أعلم. لقد عرفتني به مولي، فقد كان صديقها في الجامعة».

هز رأسه ثم قال: «لم تذكر الأمر أمامي مطلقاً!».

لا! على الأرجح أن مولي لم تأت على ذكر وفاة جايمس، فهي شعرت بالصدمة تماماً مثل كريس. هما الاثنتان لم تتكلما عن هذا الموضوع منذ

ذلك الحين. . .

تمتم سام وهو يفكر: «أعتقد أنك أيضاً تعرفت عليه بالطريقة نفسها. لا بد أن مولي عرفتكما ببعضكما البعض».

ثم نظر نحو تعابير وجهها المرتبكة.

نعم بالفعل، لقد قامت مولي بتعريفهما على بعضهما منذ ثمانية عشر شهراً، وقد أغرما ببعضهما منذ النظرة الأولى. لكن هناك أمر يخص جايمس لن تقوم بكشفه لسام. أمر مؤلم لا يمكنها قوله لشخص غريب تماماً كهذا الرجل. . . كان جايمس ويبر زوجها!

٤ - لحظة انفجار

- هل وجدت كل ما تحتاجين إليه؟

وضعت كريس صينية اللحم في الفرن، ثم استدارت وقد اتسعت عيناها لتنظر نحو مدخل المطبخ حيث وقف سام. إن اعتقدت في السابق أن تغيير ملابسه قد أحدث فرقاً واضحاً في مظهره، فقد أحدث حلق ذقنه تحوّلاً كاملاً في ذلك المظهر. أدركت كريس أن ذلك المظهر المخيف يخفي تحته رجلاً جذاباً مميزاً.

بدت بشرة وجهه سمراء. وعكست بشرته الداكنة لون عينيه الخضراوين العميقتين. بدا أنفه طويلاً قليلاً أما فمه فمنحوت بدقة، وبدت شفتاه ممتلئتين وفكه قوياً جداً. بدا لون شعره داكناً لأنه ما زال رطباً، وذلك على الأرجح بسبب الحمام الذي أخذه منذ قليل.

لاحظت كريس أيضاً أن البنطلون الأسود والقميص الخضراء الجميلة اللذين كان يرتديهما ساهما كثيراً في تحسين مظهره. شعرت أنها تعرفه من قبل، وهذا شعور سخيف بالطبع، فلو أنها التقت بهذا الرجل من قبل لتذكرته بالتأكيد.

مرّر يده فوق ذقنه الحليق كأنه أدرك جزءاً من دهشتها، وقال بجفاء: «يصيبني شيء من التكاسل حين أكون بمفردي هنا».

ثم أضاف بسخرية: «تلح مولي عليّ دائماً أن أهتم بنفسي حين تأتي لزيارتي».

ابتسمت كريس قائلة: «أعتقد أن هذا هو سبب وجود الشقيقات الصغيرات».

دخل سام بثقة نحو المطبخ وهو يسأل باهتمام: «ألديك إخوة أو أخوات؟».

اختفت ابتسامتها بسرعة، وأجابت بهدوء: «لا! ولأجيب عن سؤالك الأول، نعم لقد وجدت كل ما أحتاج إليه لإعداد الطعام».

برهنت غرفة النوم التي أرشدها إليها منذ ساعة تقريباً على الذوق الرفيع الذي يتميّز به هذا المنزل. فالغرفة مزينة باللونين الأزرق والعسلي. لاحظت كريس وجود سرير مزدوج في الغرفة لكنها لم تعلق على الموضوع بسبب معرفتها أن سام توقع وصول رجل بدلاً منها.

عندما خرج سام وتركها لتضع أغراضها في الغرفة، دخلت لترى غرفة الحمام التي عكست فخامة المكان. أمضت كريس ساعة بكاملها وهي تأخذ حماماً ساخناً في ذلك الجو من الرفاهية.

تلك الساعة التي أمضتها بمفردها خففت من انزعاجها لقضائها الليلة هنا بمفردها مع سام، لكنها عرفت أن السبب الآخر الذي جعلها تشعر بالهدوء هو حضور جايمس في المنزل. شعرت بالارتياح لمعرفتها أنه تواجد هنا من قبل، وقام بتنفيذ أعمال الديكور الرائع وإن يكن تحت إشراف سام.

سألها سام وهو يعترف بصراحة: «أبإمكاني مساعدتك في شيء؟ قضائي معظم الوقت بمفردي يجعلني أتصرف بفظاظة أحياناً».

نظرت كريس نحوه متأملة، بدا كلامه أشبه باعتذار عن تصرفاته السابقة. لم تشكك أنه يحاول أن يبدو لطيفاً قليلاً فقط لأنها صديقة شقيقته.

شعرت كريس بالدفء والارتياح بالكنزة الزرقاء والبنطلون الداكن اللذين ارتدتهما بعد الحمام. ابتسمت له وقالت: «كوب من العصير يبدو جيداً الآن...».

وبينما تحرك نحو الثلاجة لإحضار العصير، تابعت كريس تسأله: «هل أخبرتك مولي أي شيء عني؟».

أجابها وهو يفتح الزجاجة: «من الواضح أنها لم تخبرني. وإلا لما اعتقدت أني أنتظر وصول رجل!».

تابعت تقول: «كنا معاً في المدرسة...».

قاطعها فجأة وقد اتسعت عيناه: «أنت كريسي! تذكرت الآن. كانت تتحدث عنك بشكل مستمر حين تأتي من المدرسة».

أظهرت ابتسامة واسعة وهي تقول ممازحة: «آه، عزيزتي مولي! إن كان يعزيك أن تعرف، لطالما تكلمت عنك في المدرسة كثيراً أيضاً».

تجمّد في مكانه فجأة ونظر إليها، ثم سألها بنبرة عادية: «أحقاً؟ ما الذي كانت تقوله عني؟».

لاحظت أنه يرمقها بنظراته المحترسة مجدداً.

قالت بلطف: «لا شيء مؤذٍ. أؤكد لك».

تذكرت كريس جيداً أن مولي كانت تقول بأن شقيقها ليس كبقية الرجال... وأنها إن طلبت منه فهو مستعد ليمشي فوق الماء لأجلها. حسناً... وافقتها كريس بأن شقيقها فعلاً ليس كبقية الرجال مطلقاً!

قررت أن من الأفضل تغيير الموضوع في الحال: «لست متأكدة أين سنأكل... هنا أم في غرفة الطعام؟».

- هنا. إن كنت لا تمانعين.

ثم أضاف بعد التفكير: «هنا الجو أكثر دفئاً من غرفة الطعام».

منعت كريس نفسها من إظهار ابتسامة عند رؤية محاولاته ليبدو لطيفاً معها. إنه يحاول على الأقل!

هزّت رأسها وقالت: «حسناً! هل بإمكانك إحضار الطاولة بينما أكمل تحضير الأطباق؟».

أخذا يتحركان بشكل عملي في المطبخ، كل يقوم بمهمته. فكرت كريس بسخرية، يا له من جو عائلي!

علا العبوس وجهها بعد بضع دقائق وهي تفكر أنه فعلاً جو عائلي بامتياز. أخذت تدندن بنعومة وهي تطهو من دون أن تدرك ذلك. ولولا

فظاظة سام بارتون معها لأمكنها أن تقول إنها لم تشعر بهذا القدر من الارتياح منذ فترة طويلة... فترة طويلة جداً! فكرت كريس بذلك وهي ترمقه بنظرات عصبية. سام رجل غريب وغامض، وليس من الذكاء الشعور بالارتياح برفقته. وإن كانت لم تحظَ برفقة رجل منذ فترة طويلة، فذلك لا يعني أنها ستقع في فخ الارتياح ولو لدقيقة واحدة!

قالت بصوت جامدٍ وهي تضع طبق السلمون على الطاولة أمامه: «أرجو أن يعجبك».

ثم اتجهت نحو الفرن مجدداً لتهتم بتحضير الخضار للطبق الرئيسي.

- ألن تأكلي منه أنت أيضاً؟

التفتت لتجده ينظر إليها، فهزّت رأسها بالنفي ثم قالت: «لن أتمكن من تناول اللحم إن أكلت السلمون».

وقف سام لإحضار صحن آخر وعاد إلى الطاولة ليقطع السلمون إلى نصفين، ثم قال: «اجلسي!».

وحين رأى أنها لم تتحرك من مكانها عاد ليقول: «قلت لك اجلسي».

- أنا لست ميرلن، سيد بارتون...

أجابها ببرودة: «وأنا لست سيد أي شيء... قلت لك إن اسمي سام. وأنا أدرك تماماً أنك لست ميرلن، فهو ينفذ الأوامر على الفور!».

حدّقت كريس به، فتواجهت عيناها الرماديتان مع عينيه الخضراوين. بدا كأن معركة صامتة قامت بينهما، وبعد عدة ثوانٍ طويلة من التوتر لم تعد كريس متأكدة أنها ستتمكن من الصمود أكثر.

فجأة تمتم سام قائلاً: «ماذا لو قلت أرجوكِ؟».

آه ذلك سيساعد كثيراً! وسيجعلها تخرج بطريقة مقنعة من التوتر الذي ظهر فجأة بينهما.

لكنها فعلاً لم تكن تريد أن تجلس لأكل السلمون معه. أوّلاً لأن ذلك سيفقدها شهيتها، وثانياً لأنها وجدت فجأة أن الجو أصبح حيمياً في المطبخ أكثر مما توقعت!

ما الذي يحدث معها بحق السماء؟ رغم مضي عام على وفاة جايمس، إلاّ أنها لم تشعر بعاطفة تجاه أحد منذ ذلك الوقت، ولم تشعر حتى بلمحة رومنسية تجاه أي رجل آخر، بالإضافة إلى أنها ليست من النساء اللواتي يحتجن إلى رجل في حياتهن ليشعرن بالكمال. إذاً لِمَ هي شديدة الحذر مع سام...؟

- ماذا هناك؟

رفعت بصرها لتجد أن سام يراقبها، فأشاحت بنظرها بعيداً.

قالت لنفسها بقسوة إنه رجل فظ، عدائي وغير ساحرٍ أبداً.

نعم، لكنه عطوف مع الحيوانات كثيراً. وقد اعتذر منها بسبب فظاظته، وهو يحاول بجهد أن يبقى مهذباً بالإضافة إلى أن مولي تعشقه...

أشار سام وهو ينتظر إجابتها: «سيرد السلمون».

أخذت كريس مكاناً مقابلاً له على الطاولة. ثم حملت السكين والشوكة وبدأت تأكل وهي مستغرقة في التفكير. أدركت أن الشعور بالارتياح الذي أحسته منذ دقائق قد تبخّر الآن كلياً.

أملت أن يخف الضباب غداً، لتتمكن من الخروج من المنزل قليلاً، فلعل ذلك يعطيهما هي وسام استراحة قصيرة من بعضهما بينما تصل مولي في اليوم التالي.

تمتم سام وهو يبدو منقطع الشهية أيضاً: «تبدين كفتاة صغيرة مرغمة على تناول حسائها».

نظرت كريس نحوه لعدة ثوانٍ وهي تبتسم قبل أن تفهم ما قاله، ثم سألته بجفاء وهي تشرب العصير: «هل تذوقت السلمون؟».

تنهد قائلاً: «لم تسنح لي الفرصة بعد».

ملأ فمه متذوقاً ما في صحنه ثم ابتسم برضا وقد أغمض عينيه بفرح. قال بعد بضع دقائق: «كنت أظن أن السلمون الذي تحضره مولي ممتاز، لكن هذا الطبق أشهى بكثير».

أظهرت كريس ابتسامة شيطانية وقالت بنعومة: «أعدك بألاّ أخبرها بما قلته لي! رغم أنه من الجيد أن أرى التقدير لوصفتي الخاصة».

اتسعت عينا سام: «وصفتك الخاصة؟».

هزت رأسها بالإيجاب وهي تقول ممازحة: «وتلميذتي المميزة تقوم بتحضيرها بشكل جيد أيضاً!».

كشر سام باستسلام وقال: «حسناً! اشرحي لي أرجوك».

أخبرته ببساطة قائلة: «أنا طباخة محترفة».

- وماذا أيضاً؟

أكل بعض السلمون وهو ينتظر إجابتها. فأجابت: «لا شيء. عملت مولي معي لفترة حين كانت من دون عمل. وفي الواقع، استمتعت بوقتها وفكرت بتغيير مهنتها. لكن حين عُرض عليها العمل في المسرحية استيقظ من جديد بداخلها حبها الأول».

أظهرت كريس ابتسامة معبرة وهي تتكلم عن ذكريات الأسابيع الممتعة التي عملت فيها مع مولي.

قال سام ببطء: «وهذا السلمون، أهو وصفة خاصة بك؟».

قالت بخفة: «أنا أحب الطهو».

قال سام مفكّراً: «همم... لدي انطباع بأنك تخفين أمراً ما».

ضحكت كريس قليلاً وهزّت رأسها: «أعتقد أننا كلانا لدينا ما نخفيه سام!».

في الواقع لم يخبرها ذلك الرجل شيئاً عن نفسه حتى الآن.

تابعت تسأله: «لكنني أعتقد أنك تعمل كاتباً، أليس كذلك؟».

عاد التوتر يسيطر عليه من جديد وسألها بنبرة عدائية: «من أخبرك بذلك؟».

اختفى فجأة المضيف اللطيف الذي كان برفقتها منذ عدة دقائق. نظر نحوها بعينين ضيقتين وقال بغضب: «لا تخبريني. إنها مولي بالتأكيد!».

عبست كريس لتغيّره المفاجيء وقالت: «أنا آسفة! لم أعلم أنه من

المفترض أن يبقى عملك سرّياً. أنت على الأرجح تعمل تحت اسم مستعار. أظن...».

قاطعها سام وقد أصبحت نظراته الآن جليدية: «وما الذي يجعلك تعتقدين أنني أعمل تحت اسم مستعار؟».

بدا بوضوح أن الجو اللطيف قد انتهى كلياً هذا المساء! لكن كيف لها أن تعرف أنه لا يحب التكلم عن عمله؟ إنه فعلاً كالقنبلة الموقوتة، وهي لا تعلم ما الذي سيفجره من جديد!

أجابته بلطافة: «حسناً! أنا لم أرَ مرة كتاباً بقلم سام بارتون. لذا اعتقدت أنك ربما تعمل تحت اسم مستعار. أعتذر إن كنت مخطئة، لكنك أيضاً لا تعطي انطباعاً بأنك لا تحب الشهرة التي تلحق بالكتاب المشهورين».

النظرات الجليدية التي رأتها في عينيه بدت مخيفة، ما جعلها ترتجف رغم الدفء الذي يحيط بالمكان. ما الذي دفعها إلى قول ذلك، بحق السماء؟ لم يخبرها أحد، أنه يفترض بمهنته أن تبقى سراً!

قطع رنين الهاتف ذلك الصمت الجليدي.

شعرت كريس بالارتياح. سوف تكون محظوظة إن كانت مولي هي المتصلة. وإن كانت تلك مولي فهي تنوي أن تتكلم معها مباشرة هذه المرة!

وجدت نفسها تقوم بعدّ الرنات قبل أن يتوقف الهاتف عن الرنين. تنهدت بارتياح حين عاد إلى الرنين من جديد. إنها مولي بالتأكيد!

رمقها سام بنظرات ساخرة وهو يقف ليذهب ويجيب على الهاتف.

من الواضح أن ارتياحها لرنين الهاتف بدا واضحاً على وجهها. حسناً! ماذا بإمكانها أن تفعل إن كان وجهها مرآة تعكس كل أحاسيسها؟

قال سام بجفاء وهو يتكلم عبر الهاتف: «كارولين!».

رفع حاجبيه الهازئين نحو كريس وهو يرى خيبة أملها حين عرفت أن المتصلة ليست مولي.

أبعدت كريس نظراتها على الفور، وشعرت بالانزعاج لأنها محط

تركيز ذلك الرجل. ما الذي يفعله يا ترى حين يكون بمفرده، ولا أحد أمامه ليسخر منه ويسلّي نفسه به؟

من هي كارولين؟ تساءلت كريس وهي تقف لترفع الأطباق عن الطاولة. لا بد أنها صديقة مقربة. تمكنت من رؤية ذلك بوضوح في نبرة صوته. كما أن تلك المرأة أيضاً تعرف الوسيلة الصحيحة للاتصال به. إذاً ربما هو لا يمضي معظم الوقت بمفرده هنا، عدا عن زيارات مولي طبعاً...

حسناً! نعم. إنه شاب عازب، وجذاب، وفي الثامنة والثلاثين من عمره، ويبدو من غير الطبيعي ألاّ يكون لديه صديقة. هذه الفكرة أبعدت من رأسها صورة الناسك الذي يعيش بمفرده طيلة الوقت.

لم تعد تسمع الحديث الذي يجري عبر الهاتف، وأخذت كريس تتساءل كيف يمكن أن يكون مظهر كارولين تلك. رغم أن ذلك ليس من شأنها، فهي أصلاً غير مهتمة للأمر. لكنها أرادت أن تعلم أي نوع من النساء يشعرن بالانجذاب إلى رجل قاس بهذا الشكل. لا بد أنها امرأة صبورة يمكنها تحمل تقلب مزاجه المفاجيء.

- ربما بإمكانك مشاركتي بالنكتة التي تضحكين لأجلها؟

شعرت كريس بالذنب لأنه ضبطها للمرة الثانية تبتسم بمفردها. إنه فعلاً كالهر الذي يتحرك بخفة فيجده المرء بجانبه من دون أن يشعر بحركته.

أجابته باختصار وهي تتحرك لتبتعد عنه: «ليس هناك نكتة. كنت على بعد أميال من هنا بأفكاري، لأعطيك بعض الخصوصية كي تستمتع باتصالك».

- هذا أمر جيد.

تلون خداها باللون الأحمر بسبب غضبها من سخريته. فردت بعينين لامعتين: «هذا ما ظننته!».

قال بنبرة مزعجة: «هل سيتأخر الطبق الرئيسي؟».

كل ما تأمله كريس الآن هو عدم فتح مواضيع مماثلة معه ولو بطريقة

بريئة، منعاً لحدوث انفجار. لكن المشكلة هي أنها لا تعرف ما هي المواضيع التي تزعجه، لذا تابعت ما تقوم به عادة حين تشعر بالقلق أو الانزعاج وأخذت تطهو. لم يكن من الصعب إيجاد مكونات الشوكولا بالكريما في المطبخ، لذا قامت بخفق المقادير جيداً ووضعتها في الثلاجة. عندها بدأ جرس الهاتف يرن من جديد.

إنه الاتصال الثالث الذي يتلقاه سام خلال بضع ساعات. إنه فعلاً عدد كبير بالنسبة إلى رجل يعيش في عزلة عن العالم!

استمعت إلى الرنين وأخذت تعد الرنات مجدداً، دون أن تدرك ذلك. اثنتا عشرة رنة وأقفل الخط. ثم عاد الهاتف يرن من جديد.

أتراه اتصال عائلي، أم أنه من صديقة أخرى أيضاً؟!

لكن... بقي الهاتف يرن. يبدو أن سام لم يسمع رنين الهاتف، أو لم يكن بإمكانه الرد عليه. ما الذي عليها فعله الآن؟

علمت من دون أن تسأله أنه سيغضب إن أجابت. لكنها لن تدع الهاتف يستمر بالرنين هكذا. ربما يريد أحد أفراد عائلته الاطمئنان عليه، وإن لم يُجب...

كانت كريس على وشك الإمساك بالهاتف حين دخل سام إلى المطبخ وأمرها بقوة: «دعيه!».

أزاحت يدها عن سماعة الهاتف كأنها قد لسعتها. ابتعدت عن طريقه بينما تقدم ليجيب بنفسه.

أرادت فقط أن تجيب على الهاتف، بحق السماء! لم تكن تحاول العبث بأوراقه الخاصة! لكن من الطريقة التي تصرف فيها والغضب الذي ظهر على وجهه بدا كما لو أنها فعلاً تدخلت في أمور خاصة جداً بالنسبة إليه! هذا ليس جيداً. إنها ببساطة لن تتمكن من البقاء هنا مع...

- مولي تريد التحدث إليك.

رمقته كريس بنظرات اتهامية. مولي! بعد ذلك الغضب كله يتضح أن مولي هي المتصلة!

نظرت نحوه بسخط بينما أخذت نفسين عميقين قبل أن تكلم صديقتها.

قالت مولي بفرح: «لقد فعلتها!».

ثم أضافت: «ما رأيك بمنزل فالكون؟».

لم يكن باستطاعة كريس أن تتكلم بصراحة فيما سام يقف بجانبها، فقالت باختصار: «مثير للاهتمام».

أطلقت مولي ضحكة، ثم قالت: «أردت أن أسألك ما رأيك بسام... لكني أعتقد أنك ستعطيني الإجابة نفسها!».

أجابتها كريس تؤكد كلامها: «أنتِ محقة على الأرجح».

سألتها مولي بقلق: «إنه لا يتصرف معك كالدب البري، أليس كذلك؟».

ثم أضافت بغضب: «وعدني أنه سيتصرف بلطف معك».

أكدت لها كريس كاذبة: «رحب بي سام جيداً عند وصولي».

كانت ردة فعل سام الأولى تجاهها عدائية جداً، لكنه حاول التصرف بلطف حين علم أنها صديقة مولي. من جهة أخرى، هي لن تقوم بشرح معاناتها وإخبار مولي عن الوضع الحقيقي عبر الهاتف. ربما تتكلمان عن الموضوع حين تصل مولي، فتضحكان قليلاً على ما حدث...

بدا كأن مولي استطاعت فهم بعض أفكار كريس الخفية، فقالت: «اسمعي! أنا حقاً آسفة لأنني لم أكن موجودة حين وصلت كي أرحب بك. سأسافر إلى لندن غداً مساءً، ثم إلى يوركشاير في صباح اليوم التالي. هل تعتقدين أن بإمكانك التعامل مع سام لوحدك حتى ذلك الوقت؟».

ليس أمامها حل آخر. أليس كذلك؟!

لكن نظرات سام المحدقة بها وتعابيره المليئة بالتحدي أخبرتها أن الوضع لن يكون سهلاً أبداً!

٥ - بداية صعبة

رفع سام بصره فرآها تراقبه وهو يستمتع بطبق اللحم مع الخضار الذي وضعته أمامه منذ دقائق، فقال ساخراً من نفسه: «ألم تخبرك أمك أن الطريق إلى قلب الرجل هي عبر بطنه؟».

بدأت كريس بتحضير المائدة للطبق الرئيسي حالما انتهت من مكالمة مولي. لم تكن تنوي مشاركته بالمواضيع التي تكلمتا عنها رغم رؤية وجهه العابس الذي أخبرها برغبته بمعرفة تلك المواضيع.

أرادت أن تتصرف بتلقائية بعد عدة شهور من الابتعاد عن الناس وعن العلاقات الاجتماعية. لكن يجب على الأقل أن يتصرف الشخص الذي ستأكل معه بتلقائية أيضاً. فكرت أن سام بعيد كل البعد عن التصرفات الطبيعية. إنه منعزل عن العالم أكثر منها بكثير ويبدو أنه يستمتع بذلك!

أخيراً أجابته كريس: «ربما قالت لي أمي ذلك. لكن أليس من المفترض أن يملك الرجل قلباً ليكون كلامك صحيحاً؟».

اختفت مظاهر الممازحة عن وجهه، وأصبحت ابتسامته باردة، ثم قال بصوت كالجليد: «تقصدين بكلامك، أن هذا القول لا ينطبق عليّ لأنني من دون قلب؟».

هزت كريس رأسها بتوتر، وتنهدت وهي تقول: «أنا لم أقصد شيئاً. إنني فقط أجيب عن سؤالك بطريقتك. من الواضح أنني أخطأت، لذا أنا آسفة».

مرت دقائق طويلة من الصمت، أجابها سام بعدها بصعوبة: «لا! أنا

من عليه أن يكون آسفاً. إنني فقط... أنا... لست أسهل عليك قضاء هذا الوقت برفقتي، أليس كذلك؟».

وافقته كريس بقسوة: «لا، أنت لا تفعل. لكن لمَ عليك أن تفعل ذلك؟ أنت شخص يعيش بأمان في منزله، ولم تكن تتوقع أن يتدخل شخص غريب في حياتك. لا أظنني سأشعر بالفرح إن حصل ذلك معي».

عارضها سام قائلاً: «هذا ليس صحيحاً تماماً. كنت أتوقع قدومك...».

قاطعته كريس بلطف قائلة: «لكن ليس بمفردي. ظننت أن مولي ستأتي أيضاً، فلم تتوقع أن تضطر إلى لعب دور المضيف بنفسك».

أخذ نفساً عميقاً قبل أن يخرجه بهدوء، وقال: «ما رأيك أن نبدأ من جديد الآن؟ كريستال... لقد أدركت أن مولي لم تخبرني حتى باسم عائلتك. هذه ليست من عاداتها!».

ثم نظر إلى كريس متوقعاً أن تجيبه.

ترددت قليلاً... ليس لأنها لم تود إعطاءه اسم عائلتها، لكنها لم تعرف أتقول جايمس أم ويبر.

فمنذ خمسة عشر شهراً حين تزوجت من جايمس قامت بتغيير اسم عائلتها. في الواقع لقد ضحكا معاً حين تعرفا على بعضهما لأنهما اكتشفا أن اسمه يشبه اسم عائلتها. فحتى يوم زواجها كان اسمها كريستال جايمس، وبقيت تستخدم اسمها هذا أحياناً حتى بعد الزواج.

- ويبر، اسمي كريستال ويبر.

تضرعت إلى الله أن تبقى متماسكة. مرّ أكثر من عام حتى اليوم... أضافت لتؤكد كلامها: «السيدة كريستال ويبر».

كرر سام بلطافة: «ويبر... مثل عائلة جايمس ويبر، المصمم؟».

تباً...! أدركت أنها ليست قوية كفاية، إذ ظهرت الدموع فجأة في عينيها.

- أنا آسف حقاً! لم أكن أعلم. إنني غبي فعلاً...

طمأنته وهي تحاول إبعاد الدموع عن وجهها: «لا بأس في ذلك. كان يجب عليّ أن أخبرك منذ البدء، حين تعرفت إلى أعمال جايمس في المنزل، لكنني...».

قاطعها سام قائلاً: «لم يكن عليك إخباري بشيء. لكن كان على مولي أن تنبهني...».

دافعت كريس عنها قائلة: «لا، لم يكن عليها فعل ذلك. فبعد كل شيء... بِمَ ستخبرك؟ أنني كنت متزوجة، وأن زوجي... قد توفي».

تفاجأت كريس لأن تلك الكلمات ما زالت صعبة عليها!

نظر سام إلى خاتم الزواج الذهبي في إصبع يدها اليسرى، وهزّ رأسه مؤنباً نفسه: «لم ألاحظ حتى أنك تضعين خاتم زواج».

أراد سام أن يناقش تلك المسألة معها، لكنه رأى نظرة شاحبة على وجهها جعلته يقترح: «أنبدأ من جديد إذاً، كريستال؟».

وما نفع ذلك؟ لن تبقى هنا إلا لفترة قصيرة. ولن يلتقيا بعدها مجدداً. لكن... ربما من أجل مولي...

وافقت بنعومة: «بالطبع! والآن، أرجوك تابع تناول الطعام قبل أن يبرد».

ثم تشجعت وقالت: «على فكرة، أين ميرلن الآن؟».

أرادت أن تبدأ حديثاً عادياً مدركة أنه يرمقها بنظراته الغريبة وهو يتناول الطعام.

شرح لها قائلاً: «فكرت أن من الأفضل أن يبقى في الخارج هذا المساء، لكنني ذهبت إليه منذ قليل كي أطعمه، فوجدت أن الضباب ما زال مسيطراً في الخارج».

- أرجوك، لا تتركه في الخارج من أجلي.

ثم أضافت بنبرة جافة: «سيدرك سريعاً أنني لا أشكل تهديداً له أو حتى لك».

أجابها سام ممازحاً: «أنا نفسي لست واثقاً من ذلك».

نظرت كريس نحوه بحدة وهي تعبس محاولة فهم ما يفكر به. ما الذي قصده بالضبط بتعليقه الأخير؟

لو أن شخصاً آخر قال ذلك لبدا كأنه يغازلها، لكن من سام...!

ابتسمت وقد أدركت فجأة ما يقصده بالضبط، فهو ليس عطوفاً على الكلاب البرية فحسب. ثم سألته: «هل كنت تهتم بالعصافير والحيوانات المصابة بجروح وأنت طفل صغير أيضاً؟».

عبس سام، وسألها مستخدماً اسمها الكامل: «ما الذي تتحدثين عنه بحق السماء، كريستال؟».

هزت رأسها لتتكلم بهدوء ثم قالت له بقسوة: «لا تشعر بالشفقة عليّ سام. أنا أكره الشعور بالشفقة فعلاً!».

لقد أمضت ستة شهور رائعة مع جايمس... ثلاثة أشهر كزوجة له. وكان ذلك أكثر من كافٍ مقارنة بما يحصل عليه العديد من الناس.

وقفت بتوتر وأمسكت صحنها لترمي ما بقي من الطعام في سلة المهملات، لكنها شعرت بصدمة كبيرة حين شعرت فجأة أن ذراعها قد أمسكت، وأن قوة جذبتها لتستدير نحو سام الذي أخذ يحدق بها.

قال لها بغضب: «أنا لا أشعر بالشفقة عليك كريستال. ولا تحاولي أن تفرضي علي ما يجب أن أفعله وما يجب ألا أفعله!».

رمشت بعينيها وهي تشعر بدوار: «لكنني لم أكن أفعل...».

صحح لها وقد أصبح وجهه داكناً لشدة غضبه: «بل كنت تحاولين ذلك. تباً لك! أنت... آه يا إلهي!».

علّق بتلك الكلمات قبل أن يمسكها بين ذراعيه ويضمها إلى صدره بقوة ليعانقها.

شعرت كريس بصدمة كبيرة من تصرفه غير المتوقع. وقفت لعدة لحظات مسمّرة بين ذراعيه. ذاب جسدها النحيف بتأثير عضلاته القوية وجسمه الصلب...

عانقها سام بقوة، جعلتها تشعر برغبة كبيرة لتبقى معه إلى الأبد.

شعرت بحرارة جسدها ترتفع وكأن الجليد الذي يغلف قلبها بدأ يذوب بتأثير قربه منها.

إنه فعلاً يذوب... أكدت كريس لنفسها. لقد ظنت أن الدفء والمشاعر رحلت مع رحيل جايمس. لكن... لا يعقل أن يكون هذا هو الشخص الذي يداوي جروحها ويشفيها.

ابتعدت عن سام بسرعة، بينما حدقت به غير مصدقة ما حدث للتو: «توقف! توقف... أرجوك».

ظهرت ابتسامة صغيرة عند زاوية فمه وهو يتحرك ليبتعد عنها، وتمتم قائلاً: «ظننت أنني توقفت فعلاً».

راحت كريس تتنفس بصعوبة، ثم قالت له ببرودة وهي تدفع بذراعيه بعيداً عنها: «ابتعد عني. أنا لا أعرف أي نوع من النساء تظنني سام، لكنني...».

أكد لها قائلاً: «أنا لا أظنك أي نوع من النساء، كريستال».

- أنا لست أرملة يائسة بحاجة إلى علاقة سريعة...

قاطعها سام وقد بدأت الأعصاب في رقبته تنفر بوضوح بسبب الغضب: «أنصحك أن تتوقفي عند هذا الحد من الكلام، كريستال. صحيح أنني عانقتك، لكنني لم أقصد أن أجعلك ترافقينني إلى السرير. ربما من الأفضل لك في المرة المقبلة أن تنتظري حتى يطلب منك ذلك!».

بدأ جسدها يرتجف كردة فعل على هذا المشهد الانفعالي وقالت بذهول: «المرة المقبلة؟!».

التوى فمه وهو يجيبها بهدوء: «لم أقصد أن المرة المقبلة ستكون برفقتي».

ثم أضاف قبل أن يخرج من الغرفة بخطوات واثقة: «على أي حال، لا أحد يعلم...».

إنها تعلم! لا مجال أبداً لأن تسمح لسام بارتون بمعانقتها مرة أخرى

مطلقاً!

جلست كريس فوق كرسي خشبي بارتباك، وهي لا تزال مصدومة لما حدث بينهما. أخذ الدم يجري بسرعة في عروقها. كيف سمحت لرجل بارد متعالٍ وغير اجتماعي بمعانقتها؟!

بعد أن هدأت أعصابها واستعادت تركيزها فكرت أن ذلك ليس عادلاً بالنسبة لها... إنها لم تسمح لسام بمعانقتها، بل شعرت بالصدمة والذهول، ما جعلها غير قادرة على إيقافه.

من بين كل الرجال... يعانقها سام بارتون! إنه رجل لا يشبه أبداً زوجها السابق، فكأنهما الليل والنهار... العاصفة والشمس. كان طول جايمس لا يزيد كثيراً عن الخمس أقدام، ما يعني أنه أقصر بستة إنشات من هذا الرجل. كان أشقر، ذا عينين زرقاوين ولا تفارق الابتسامة شفتيه... بينما سام بنظرته الداكنة القاسية يبدو وكأنه لا يعرف معنى الابتسامة مطلقاً!

عاد سام إلى المطبخ بصحبة ذلك الكلب الوفي. من الواضح أنه استمع جيداً إلى كلامها وأدخله. قال محدثاً الكلب: «قل مرحباً للسيدة اللطيفة ميرلن».

ثم وجّه كلامه إلى كريس وهو يراها تنظر بحذر نحو الكلب مع اقترابه نحوها: «لا أظن أنه يحاول عضك. فأنت بجسدك النحيل لا تكفين لوجبة واحدة له».

احمرت وجنتاها وهي ترى أنه يحاول إهانتها من جديد... رغم أن كلامه هذا بدا لها أفضل من الكلام الجميل واللطافة... في ظل الظروف الغريبة التي تجمعهما!

رحبت كريس بالكلب وهي تمد يدها لكي يقترب: «مرحباً، ميرلن».

قال سام: «تصبح الحيوانات أكثر هجومية حين تشعر بخوفنا منها».

أضافت كريس محدثة نفسها: ليس الحيوانات فقط.

لكنها لم تشعر بالخوف من سام... بل وجدت من الصعب التفاهم

معه.

قالت لميرلن بينما أخذ هذا الأخير يلحس يدها: «أحسنت... أحسنت».

ثم أضافت مازحة: «وإن كانت رائحة اللحم هي ما تشتهيه وليس أنا!».

- لا تستخفي بسحرك الخاص. قد يبدو واهناً إلى حد ما بسبب قلة اهتمامك بنفسك، لكنني أؤكد لك أنه ما زال موجوداً!

نظرت كريس نحو سام وقطبت حاجبيها له بتوتر. إنها لا تريد أن يقال لها إنها ما زالت امرأة جذابة، لا سيما إن كان من يقول ذلك سام بارتون.

توقعت أن تقضي أسبوعاً هادئاً في يوركشاير، لتتعرف على مولي من جديد. لم تفكر كثيراً بوجود شقيقها حين قبلت دعوتها. وكل ما فكرت به هو أنه سيكون منشغلاً بحياته الخاصة، ولن تراه هي ومولي كثيراً، لذا ستستمتعان برفقة بعضهما فقط. ربما لو وصلت مولي معها في الوقت نفسه كما خططتا في البداية، لحصل ذلك فعلاً...

حسناً...! الآن وقد التقت بسام، شكت بأنها ستتمكن من التعامل معه بشكل اجتماعي مهذب كما تتعامل مع أي شخص غريب تلتقيه. لقد اكتشفت بسرعة أنه يملك مشاعر قوية ومتضاربة؛ الإدراك، القلق، الحب والكره... الحب؟!

شكت كريس أن تجد أي امرأة الحب مع ذلك الرجل بطريقة سهلة. فالتعامل معه غير مريح أبداً. في الواقع، بدأت تشعر بالأسف على تلك المرأة التي تدعى كارولين!

قال سام فجأة: «بدأت أكره تلك الابتسامة المبهمة لديك».

توقفت عن اللهو مع ميرلن ورمشت بسرعة محاولة بجهد التركيز على كلامه: «عفواً...؟».

كشر سام وقال: «لديك طريقة في الابتسام لنفسك، وكأنك تملكين

دعابة لا تودين مشاركتها مع الآخرين».

إنها بالتأكيد لن تشاركه الأفكار التي خطرت ببالها منذ دقائق.

- في الواقع أعتقد أنني متعبة ليس إلاّ.

ثم تثاءبت قبل أن تكمل: «أتمانع إن خلدت إلى النوم باكراً؟».

قالت تلك الكلمات فقط من باب التهذيب. فكل ما تنويه هو التخلص من رفقة ذلك الرجل لما تبقى من المساء، مهما كان رأيه بذلك. وستتمكن بالتأكيد من التخلص من رفقته غداً... ستحاول ذلك فعلاً!

اتسعت تكشيرة سام، وكأنه أدرك ما تخطط له. تمتم قائلاً: «أرجوك، أنت ضيفتي. أتركي كل شيء كما هو، وسأقوم أنا بالتنظيف».

نظر سريعاً نحو الأطباق أمامهما، ثم تابع: «هذا أقل ما يمكنني فعله بعد أن طهوت الطعام لكلينا».

ابتسمت كريس وقالت: «هناك حلوى في البراد، إن أردت تناولها».

لم يعلق على الموضوع بل أجابها: «شكراً. هناك مكتبة مليئة بالكتب عند الباب الثاني إلى اليمين، إن أردت أخذ كتاب معك إلى الفراش».

تقبلت كلامه بالتهذيب نفسه، وقالت: «شكراً لك. هل سيبقى ميرلن بعيداً إذا وقفت ومشيت إلى الخارج؟».

كان الكلب ممدداً بقرب المدفأة، لكنها علمت أنه سيتحرك سريعاً إن قرر ذلك.

اقترح سام: «جربي لتعرفي ذلك».

عندما وقفت لم يتحرّك ميرلن من مكانه إلاّ ليهز أذنه قليلاً. لكنه رافقها بنظراته حتى خرجت من الغرفة. لم تنظر كريس إلى سام لترى تعابير وجهه وهي تترك المطبخ.

لقد قال لها إن المكتبة تقع عند الباب الثاني إلى اليمين... بعد أن فتحت كريس الباب علمت أنها لم ترَ من قبل مجموعة ضخمة من الكتب كهذه في مكان واحدٍ خارج المكتبة العامة. بدت الجدران الأربعة مليئة

بالكتب الموضوعة على الرفوف من الأرض حتى السقف. رأت مجموعات من الكتب أيضاً مرصوفة فوق بعضها على الأرض، ولا مكان لها على الرفوف.

اتجهت نحو القسم الخاص بكتب الطهو واختارت كتاباً من المجموعة الكبيرة بصورة عشوائية. لطالما شعرت بالارتياح وهي تقرأ وصفات الطهاة الآخرين، وهي فعلاً بحاجة للراحة الآن!

بدا المنزل هادئاً بشكل مخيف وهي تتجه عبر الدرج إلى الطابق العلوي، رغم الإضاءة الجميلة التي أنارت المكان. ارتعشت قليلاً حين وصلت إلى الطابق العلوي ووجدت الصالة الرئيسية مظلمة.

- نسيت أن أخبرك... إن استيقظت صباحاً ولم تجديني، يمكنك أن تسلي نفسك بتحضير الطعام.

لم تدرك أن سام يقف عند أسفل الدرج في الطابق السفلي حتى تكلم معها. استدارت لتنظر نحوه من فوق السياج الخشبي وسألته: «هل ستخرج؟».

وجدت أن البقاء هنا في هذا المنزل الضخم بمفردها فكرة غير مريحة. وأدركت أنها تفضل حتى رفقة ذلك الرجل المزعج سام على البقاء بمفردها.

هزّ كتفيه وقال: «عادة، آخذ ميرلن كل صباح للركض قليلاً في البرية».

بالطبع! كلب ضخم كميرلن بحاجة للكثير من التمرين.

قالت بسرعة: «يمكنني المجيء معك».

ثم ندمت على تسرعها. كانت تتمنى أن تتحاشى صحبة سام غداً، لا أن تنضم إليه في النزهات!

أجابها بجفاء: «يمكنك ذلك».

لكن تعابير السخرية على وجهه أخبرتها أنه كان يدرك قرارها الأول بالبقاء بعيدة عنه.

- هل أحضرت حذاءً مناسباً للبرية؟

نعم، لقد فعلت. لم تكن واثقة ما هي مشاريع مولي للعطلة لذا حاولت إحضار ما يلائم كل أنواع النزهات. بما في ذلك المشي في البرية...

قال ببرودة حين تأخرت لتجيب: «إن كنت تملكين حذاءً مناسباً، فأنا سأنطلق عند الساعة السابعة والنصف. إن كنت مهتمة».

استنتجت كريس أنه مزعج جداً. فقلة الاهتمام التي ظهرت في صوته أوضحت لها أنه لا يأبه لرفقتها صباحاً... إنه خارج عند السابعة والنصف بجميع الأحوال.

أجابت بجدة: «شكراً لك».

ثم أضافت بصوت أجش: «تصبح على خير سام».

هزّ رأسه بتهذيب وقال: «تصبحين على خير كريستال».

ثم استدار على عقبيه وعاد إلى المطبخ وأغلق الباب خلفه.

جمدت كريس مكانها وهي تسمع تمتمة وأدركت أنه يكلم ميرلن... لكنها لم تشك بأنها هي بالتأكيد موضوع ذلك الحديث. على الأرجح أن سام يخبره عن تقلب النساء، وأن الرجل لا يمكن أن يعرف ما تريده المرأة من دقيقة إلى أخرى! لكنه ليس مخطئاً بشأن تلك العبارة. إلاّ بخصوص أمر واحد رأته كريس واضحاً جداً... هي لا تريده أن يعانقها ثانية كما فعل منذ قليل!

ما زالت تشعر بقوة ذلك العناق، وبالدفء القصير الذي أطلقه في عروقها. وتجاوبها معه ولو بشكل قصير أيضاً...

٦ - لا تفعليها ثانية!

- هل أمضى ميرلن الليل أمام باب غرفتي للتأكد من بقائي هناك أم لحمايتي؟

لم تنتظر كريس رداً عن سؤالها، فهي واثقة أنه بقي هناك للتأكد من عدم خروجها ليلاً.

لقد تلقت صدمة حياتها في تلك الليلة، حين شعرت برغبة في تناول شراب ساخن ليساعدها على النوم. فتحت باب غرفتها لتجد ميرلن مستلقياً على الأرض، في الممر أمام الغرفة. كل ما فعله هو فتح عين واحدة لينظر إليها، لكن ذلك بدا كافياً ليجعل كريس تقرر أن الشراب الساخن لم يعد ضرورياً. أسرعت إلى غرفتها وأقفلت الباب بقوة خلفها.

أصبح النوم أصعب الآن بعد تلك المواجهة غير المتوقعة مع الكلب الإيرلندي. بدأت تشعر بكل حركة يقوم بها ذلك الكلب في الخارج أمام باب الغرفة، ليستعيد الراحة مجدداً بعد أن قامت بإزعاجه.

وقف سام بصمت. سكب لها فنجان قهوة، ووضعه أمامها على طاولة المطبخ. قال بعد أن جلس في مقعده: «لست الشخص المناسب لتتصبحي بوجهه، أليس كذلك؟».

حدقت كريس به بعينيها الرماديتين تعاتبه، وقالت: «ما من شك في ذلك! لكنك لم تجب عن سؤالي بعد».

لم يبدُ على سام الانزعاج أبداً من إجابتها وقال: «بدا لي أن ذلك سيكون أكثر أماناً... إن نام ميرلن أمام باب غرفتك».

أجابت بجدة: «أكثر أماناً لمن بالتحديد».

سام هو الشخص الوحيد الموجود في المنزل بالإضافة إليها، وهي متأكدة أن ميرلن لن يمنعه أبداً من دخول غرفتها.

لم يبدُ على سام الانزعاج قط حين قال: «فقط أكثر أماناً... وأنا آسف إذا كنت قد أخطأت في ذلك».

فهمت كريس على الفور وهي ترشف قهوتها أنه ليس آسفاً أبداً. إنها متأكدة أن سام يعرف تماماً ما يفعله، ولماذا!

علّق سام بلطف: «هل أفهم من مظهرك أنك قررت مرافقتنا في النزهة الصباحية؟».

وأشار بعينيه نحو كنزتها الرياضية وبنطلونها الأسود والحذاء الرياضي الذي انتعلته.

أجابت بالرغم من مزاجها المعكر: «يبدو ذلك واضحاً».

لم تستطع أن تسامحه على إبقاء ذلك الحيوان أمام باب غرفتها رغم تقديمه القهوة لها بنفسه عند الصباح. فكلاهما يعلم أن وجود ميرلن هو فقط لمنعها من الخروج وليس لإبعاد الآخرين عن غرفتها!

منذ وفاة جايمس السنة الماضية، وهي تعاني من مشاكل في النوم. اكتشفت أن تناول الشراب الساخن عند الساعة الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل يهدىء أعصابها، ويساعدها على النوم قليلاً حتى ساعات الصباح. أما ليلة أمس فلم تستطع حتى الخروج من غرفتها، فكيف ستتمكن من فعل أي شيء آخر؟

أصبحت الساعة السابعة والنصف وهو الموعد الذي أخبرها عنه ليلة البارحة، ورغم ذلك لم يبدِ أي استعجال كي يتحرك. زاد ذلك من انزعاج كريس، فقد نهضت باكراً، وأخذت حماماً سريعاً كي تنزل في الوقت المحدد. سألته بنفاد صبر: «ألم يحن الوقت لنتطلق؟».

شعرت بالجو الحار في المطبخ بسبب كنزتها الثقيلة.

أجابها ببرودة: «لسنا على عجلة من أمرنا، فالبرية لن تختفي إن لم نصل في وقت محدد».

فكرت كريس أنه على الأرجح يستمتع برؤيتها تتعرق... أو بالأحرى تتورد. صححت لنفسها بعد أن تذكرت تعليقه بالأمس. وقفت بسرعة وقالت بانزعاج: «إذاً سألاقيك في الخارج حين تصبح مستعداً».

ربما يساعدها الهواء النقي على التخلص من توترها قليلاً.

وافقها سام: «حسناً!».

ثم تابع رشف قهوته بالهدوء نفسه.

تبين لها أنها محقة بشأن الهواء النقي في الخارج... إنه بارد إلى درجة شعرت معها كأن الرياح تقطعها كالسكين. لكن الضباب اختفى على الأقل، ما جعلها ترى المحيط بشكل أفضل الآن.

بدا المنزل متداعياً أكثر على ضوء النهار، بدا الإهمال وقلة الاهتمام به أكثر وضوحاً. ذكرت كريس نفسها، أن ذلك مجرد مظهر خادع، فمن الداخل... جزء من المنزل على الأقل بدا فخماً للغاية.

خطت قدماها فوق القبر بينما أخذت تمشي في الخارج، متنزهة في الأراضي التي يغطيها العشب والمنتشرة في نواحي الحقل المهمل.

رغم عدم استعجال سام للخروج في النزهة، إلاّ أنه صحا باكراً جداً بالتأكيد كي ينهي دفن الكلب الميت الذي وجده البارحة.

تلاشى بعض غضبها منه حين أدركت العناية التي أعطاها لدفن كلب شارد. كما أشار سام بالأمس، فإن الأرض قاسية كالجليد، لذا لا بد أن حفر ذلك القبر كان عملاً شاقاً متعباً.

إنه أمر مذهل! كلما أقنعت نفسها أن سام هو أكثر الرجال أنانية يفعل شيئاً يناقض نظريتها تلك كلياً.

- هل أنت مستعدة؟

استدارت بحدة لتجد سام واقفاً بجانب رانج روفر مهمل أيضاً، لم تلاحظ وجوده سابقاً هناك بجانب القصر. رأت أن ميرلن قد صعد إلى المقعد الخلفي أيضاً.

أجابت قائلة: «مستعدة».

تجنبت أن تلتقي نظراتهما وهي تصعد إلى السيارة، فقد تذكرت بوضوح عناقهما بالأمس.

لم يبدُ من تصرفاته أبداً ما يشير إلى أنه يتذكر ذلك العناق. بقي صامتاً طوال الطريق حتى وصلوا إلى البرية. وهناك بدا أكثر انشغالاً بإنزال ميرلن من السيارة بدل الاهتمام براحة كريس.

لم تهتم كريس في الواقع بما يفعله، فقد سحرها المكان حالما نزلت من السيارة، ووجدت نفسها على قمة تلة غير مأهولة ليس فيها سوى هي وسام.

لا بد أن الكثير من الناس يظنون أن البرية في يوركشاير غير مرحبة وكئيبة. لكن نظرة سريعة إلى تلك التلال والوديان جعلت قلب كريس يقفز من مكانه. شعرت بسعادة لم تشعر بها منذ زمن بعيد.

قال سام وهو يبدو متفاجئاً: «لقد وصلت إليك الآن».

التفتت كريس لتنظر إليه وعيناها تلمعان بسلام داخلي. وقالت: «إنه منظر رائع جداً».

ثم فتحت ذراعيها على اتساعهما تحتضن المكان وجماله.

همس سام قائلاً: «صه... لا تخبري أحداً بذلك. إنه سرّ يوركشاير».

ضحكت وقد زال توترها، وهما يسيران بسرعة على خطى ميرلن الذي ابتعد ليبحث عن الأرانب الحقيقية أو الوهمية ربما...

سألته كريس بعد أن سارا بصمت لفترة: «ما الذي قصدته بقولك إنها وصلت إلي الآن؟».

هزّ سام كتفيه العريضتين تحت كنزته السوداء الثقيلة التي ارتداها لردع الهواء البارد عنه، وأجابها: «البرية في يوركشاير مكان إما تحبينه كثيراً أو تكرهينه».

- لكنك تحبه.

بدت المفاجأة مجدداً في صوته وهو يقول: «ويبدو أنك أحببته أيضاً».

رمقته بنظرة جانبية وكان سام قد أخذ يهم في المشي السريع بخطى واسعة، غير سامح لرجليها القصيرتين أن تستريحا أبداً. لكنها لم تكن تريده أن يخفف سرعته، فقد استمتعت بالمشي السريع وشعرت بنقاء هواء يوركشاير وكأنه يصل إلى عروقها. بدا كأن ذلك الهواء يريحها من آلامها ووحدتها التي رافقتها في السنة الماضية.

بعد فترة، أمالت برأسها وسألته مستغربة: «لِمَ ظننت أنني لن أحب هذا المكان؟».

تردد للحظة ثم قال: «مولي ابنة المدينة. تحب البقاء قرب الناس والذهاب إلى المسارح... حين لا تكون على المسرح بنفسها! وفكرت، بما أنكما صديقتان حميمتان... ربما أنا مخطىء».

ثم أضاف بثبات: «يبدو أنني أخطأت مجدداً».

ثم التفت نحوها يرمقها بعينيه الخضراوين، وقال يفتر لها: «فكرت أن من الأفضل أن أقولها أنا قبل أن تخبريني أنت بذلك».

أجابته مازحة: «ما كنت لأجرؤ على الكلام».

ضحك سام بهدوء وقال: «آه! أظنك تفعلين».

ربما. لكن الصباح بدا رائعاً، وهي لن تعكر مزاجها بالنقاش أو الصدام مع أي شخص... حتى مع سام المزعج. في تلك اللحظة، لم يبدُ لها أي شيء أكثر أهمية من كمال ذلك النهار.

بدا سام مأخوذاً أيضاً بجمال المكان، وعاد مجدداً للصمت الطويل، ما لاءم كريس كثيراً. أرادت أن تبقى بمفردها مع أفكارها وأن تتشرب المزيد من هذا الهواء المنعش.

عادا إلى المنزل عند الساعة الحادية عشرة تقريباً. لكن الشعور بالنشاط بقي يرافق كريس. شعرت بالحماس للتعامل بسلام مع العالم... حتى مع سام.

عبس سام في وجهها بعد أن فتح الباب الخلفي للمنزل ليدخلا مباشرة إلى المطبخ. قال: «ها أنت تفعلين ذلك مجدداً!».

- عفواً؟

استدارت نحوه وتوقفت عن ملء الإبريق لصنع الشاي الذي رغبت بشربه الآن كثيراً.

شرح لها بانفعال: «أقصد تلك الابتسامة المبهمة».

تحولت ابتسامتها إلى تكشيرة وقالت: «بالعودة إلى التعليق الذي قلته لي بالأمس... لقد أخبرتني أمي بأمر واحد وهو ألاّ أدع رجلاً يعرف كل ما أفكر به، وبذلك أجعله دائماً يخمن!».

قال باشمئزاز ساخر: «معك، لا مجال لفعل شيء آخر سوى التخمين! هل يعيش والداك في لندن؟».

اختفت ابتسامتها فجأة وتبخّر جزء كبير من السعادة التي وعدت بها نفسها لهذا النهار. استدارت لتلهي نفسها بإعداد القهوة، وقالت: «لقد توفي والداي في حادث سير منذ ستة أشهر».

سمعته يأخذ نفساً عميقاً خلفها. ثم ساد صمت طويل، لكن لم يكن أمامها سوى إجابته بصدق. الآن لم تعد تعلم ماذا تقول أو كيف تخفف من تأثير تلك اللحظات. إنها...

ارتعشت حين شعرت بذراعين قويين يمسكان بخصرها من الخلف. شدتها ذراعا سام برفق فوق صدره الصلب، وارتاحت ذقنه فوق رأسها، بينما أبقاها قريبة منه.

ربما كان بإمكانها أن تبقى هادئة فتخفي عواطفها كما كانت تفعل بنجاح منذ ستة أشهر. ربما لو أن سام بقي صامتاً... لكنه لم يفعل...

قال بحنان: «مسكينة أنت، عزيزتي. تباً! ظننت أنني أسيطر على الوضع... لا عليك... لا عجب أنك شعرت بالصدمة بالأمس حين رأيتني أحفر قبراً! لا بد أن ذلك هو آخر ما أردت رؤيته. أما أنا فكل ما تمكنت من فعله هو اتهامك بامتلاك مخيّلة واسعة!».

أجابته بنعومة: «من أين لك أن تعرف؟».

بدا من الواضح أن مولي لم تخبر أخاها شيئاً عن حياة كريس. لكن لم

يبدُ أن الأمر كان يعجب سام.

سألها غير مصدق: «كيف تمكنت من تسيير شؤون حياتك طوال هذه السنة!».

ابتلعت ريقها بصعوبة، وهزت رأسها لتنهي الموضوع وقالت: «أرجوك! أنا... أنا فعلاً لا أريد التكلم في هذا الموضوع».

ثم أضافت مناشدة: «أنا أريد فقط... لقد استمتعت هذا الصباح في النزهة!».

لقد استمتعت لسببين الأوّل هو أنها كانت محاطة بطبيعة خلابة وجمال لا يوصف، أما السبب الثاني فهو أنها لم تفكر ولو لثانية بمعاناة السنة الماضية المأساوية.

قال سام بنبرة ثقيلة: «وأنا أفسدت عليك ذلك الآن!».

حرّك نفسه الدافىء بضع خصل من شعرها.

عادت تقول بهدوء أكثر: «لا... ليس الأمر كذلك، أنا فقط...».

ثم أخذت نفساً عميقاً وتابعت: «سبق أن أخبرتك كيف أشعر حيال الشفقة».

شرح لها وذراعاه تشدان بقوة على خصرها النحيف: «إنها ليست شفقة، بحق السماء!».

كرّرت محاولة إنهاء الحديث: «أنا فعلاً لا أريد أن أتحدث عن هذا الموضوع الآن».

أبعدت ذراعيه عنها بحزم، وخطت مبتعدة عنه دون أن تنظر في عينيه. علمت أنها لو فعلت فلن يكون ذلك لمصلحتها.

- فلنشرب فنجان شاي، موافق؟

تمتم بلطف: «آه! إنه الدواء للرجال الإنكليز».

علّقت برقة: «والنساء الإنكليزيات أيضاً».

قبل سام عرضها قائلاً: «الشاي مناسب جداً الآن».

- هل تأخذ الحليب والسكر معه؟

ربما إن تكلمت بشكل طبيعي سيتمكن من نسيان الحادثة التي جرت بينهما للتو.

أجابها بلطف: «وأنا أيضاً استمتعت بنزهتنا الصباحية، كريستال».

أدركت أن الجو المشحون بالعاطفة الذي ساد بينهما منذ لحظات لم يزُل تماماً.

لم تكن تريد أن تشعر بسام أو بأي رجل آخر. ألم تتألم بما فيه الكفاية في السنة الماضية؟!

تماماً كما تساءل سام، تساءلت كريس أيضاً منذ ستة أشهر؛ كيف ستتمكن من الاستمرار في العيش بعد الصدمة الثانية التي واجهتها بوفاة والديها. لكن تأكد لها في ما بعد أن الإنسان لا يموت بسبب تحطم قلبه.

مثّل والداها الدعم والسند لها بعد وفاة جايمس. بعد أن تلقت الاتصال الهاتفي الذي أخبرها بوقوع الحادث المأساوي لهما، لم تصدق أنها ستتمكن من متابعة حياتها. لكنها تمكنت من ذلك بطريقة أو بأخرى.

كانت بحاجة إلى نزهة في البرية كنزهة هذا الصباح لتصدق أنها قد تحظى بمستقبل أكثر إشراقاً.

إنها لا تعرف بعد كيف سيكون ذلك المستقبل، لكنها تقبلت أنه جزء من حياتها الغامضة. وبدا لها أن الحياة ستستمر إن أحبت ذلك أم لا.

اعترفت وهي تنظر أمامها لتجد سام يحدق بها عبر الطاولة: «أنا أقوم بذلك مجدداً، أليس كذلك؟».

ثم أكدت له قائلة: «ليس هناك شيء غامض في ابتسامتي. أنا فقط أشعر بالذهول... أشعر بالضياع... من الطريقة التي أخذت حياتي تتجه بها خلال السنة الماضية. ولا أملك أي فكرة عمّا قد يحدث معي في المستقبل».

سألها سام بنعومة وعيناه الخضراوان تلتمعان: «ألا تعرفين؟».

سألته كريس بخفة: «وهل تعرف أنت؟».

أجابها بجدية: «وهل بإمكاننا أن نعرف ما يحمله المستقبل، حتى إن

أردنا ذلك؟».

أصبحت هذه المحادثة جديّة جداً، ولم تعد كريس مرتاحة للمضي فيها، لذا قررت بحزم أن تغيّر الموضوع.

- ماذا تود أن تأكل على الغداء؟

نظر سام إليها متأملاً لعدة ثوانٍ، قبل أن يهز رأسه لإدراكه كيف تمكنت من إنهاء حديثهما الجدي بسرعة. ثم قال: «أنتِ لم تأتي إلى هنا كي تعملي... لذا ما رأيك أن أدعوك إلى الغداء في الخارج؟ هناك مقهى على بعد ميل من هنا، ويقدم طعاماً شهياً».

عبست كريس لكلامه، الذهاب معه في نزهة إلى البرية أمر والخروج معه للغداء أمر آخر. أليس ذلك كالخروج في موعد ما؟

قالت ببساطة: «أليس لديك عمل تقوم به؟».

أجابها بسخرية: «لا عمل لدي. انتهيت للتو من آخر مشروع لي، لذا، سآخذ بضعة أسابيع من العطلة كاستراحة».

لسوء الحظ اختارت المجيء إلى هنا في أحد أسابيع عطلته. رائع!

- لا تشعر بأنه يتوجب عليك أن تسليني في غياب مولي...

قاطعها بجفاء: «وهل أعطيتك حتى الآن الانطباع بأن التهذيب جزء من صفاتي؟».

قالت كريس بسرعة: «لا!».

- حسناً! إذاً؟

في النهاية إنه مجرد غداء. لمَ هي خائفة بحق السماء؟ ألم تمضِ الليلة الماضية وحدها في هذا المنزل معه؟ فأين الصعوبة بتناول الغداء برفقته اليوم؟

أخذت نفساً عميقاً وقبلت دعوته: «حسناً».

مازحها سام قائلاً: «لم يكن قراراً صعباً، أليس كذلك؟».

إنه لا يعرف ما تعانيه! الخروج بكل أشكاله لم يكن جزءاً من حياتها خلال السنة الماضية كلها، لأسباب واضحة. ولولا عملها لما تكلفت عناء

الخروج من منزلها مطلقاً. أصبح الخروج إلى المقهى يبدو كمغامرة لها الآن.

وقفت حين انتهت من تناول الشاي، وقالت: «في أي ساعة تود أن تخرج؟».

ثم أضافت لتشرح له: «لم أتمكن في الصباح من غسل شعري لأني كنت على عجلة من أمري».

- هل يكفيك حتى الساعة الثانية عشرة والنصف؟

ثم نظر بإعجاب إلى شعرها الأشقر اللامع.

- ممتاز. أارتدي ثياباً عادية؟

كرر خلفها: «نعم، ثياباً عادية».

ثم جلس مكانه مجدداً وهو يبتسم لها وقال: «أنت أكثر خبرة مني في هذه الأمور».

أكثر خبرة بماذا؟ تساءلت كريس وهي تشعر بإحساس غريب في صدرها، ثم عبست في وجه نظراته المتفحصة.

من دون تلك اللحية التي تغطي جزءً من وجهه، يبدو فعلاً رجلاً جذاباً. فهو طويل القامة، رشيق. حتى شعره الطويل الداكن الحريري بدا مناسباً جداً له. أما عيناه الخضراوان...

توقفي! أمرت كريس نفسها بحدة. إنه شقيق مولي، وهو مضيف سيء، وإن قرر أن يصبح لطيفاً معها فذلك لن يغيّر الواقع الأساسي.

قالت قبل أن تستدير لتخرج من المطبخ: «أراك عند الساعة الثانية عشرة والنصف».

- أتطلع بشوق إلى ذلك.

بقيت كريس تسير، ولم تتمكن من أخذ نفس مريح إلاّ بعد أن أصبحت في القاعة الخارجية وقد أغلق باب المطبخ جيداً خلفها.

لم تكن واثقة إن كانت تفضل سام لطيفاً أم قاسياً! بدا الوضع أكثر أماناً حين عاملها بقسوة.

أكثر أماناً...؟! يا لهذه الطريقة الغريبة في وصف الوضع...!

٧ - مفاجأة وعناق

ابتسمت كريس وهي تأخذ كوب عصير الليمون الذي وضعه لها سام على الطاولة وقالت: «شكراً».

كانا يجلسان في المقهى وقد أعطى الحطب الذي أخذ يحترق في المدفأة جواً دافئاً للمكان.

سألته باهتمام وهو يجلس بجانبها: «ذكرت سابقاً أنك أنهيت للتو العمل على آخر كتبك».

قررت كريس وهي تغسل شعرها أن من الأفضل لهما أن يتحادثا بمواضيع غير مثيرة للعواطف... فالحديث عن تلك التفاصيل الصغيرة في حياتها خلقت بينهما جواً من الحميمية ليس في مصلحتها البتة. لكن يبدو أن سام لم يجد الموضوع الذي طرحته حيادياً وغير مثير للعواطف!

عبس بحدة وهو ينظر إلى كوب العصير، ورسم على فمه خطوطاً غير مطمئنة. أخيراً رفع نظره وراح يرمقها بعينيه الخضراوين الجليديتين قبل أن يقول: «لا... أنا لم أقل ذلك».

- لكن...!

- كريستال، من أين لك ذلك الانطباع بأنني مؤلف كتب؟

حان دور كريس لتعبس الآن: «مولي ذكرت لي أنك مؤلف...»

- لكنني لست مؤلف كتب.

- آه...! لقد قدرت ذلك فقط...

ثم توقفت عن الكلام حين أدركت أنها يجب ألاّ تقدّر أي أمر يتعلق بهذا الرجل، وألاّ تسأله أي سؤال شخصي لا يريد الإجابة عنه... أي

ألاّ تسأله عن أي شيء!

إنه أكثر رجل غامض التقته في حياتها! لقد أجابته عن كل الأسئلة الشخصية وغير الشخصية التي طرحها عليها، أما هو فيتهرب من الإجابة عن الأسئلة المباشرة أيضاً. في الواقع لم تعرف سوى القليل فقط عنه منذ وصولها إلى يوركشاير، مقارنة بما عرفته قبل وصولها. حتى إن معلوماتها كانت خاطئة... فهو ليس مؤلف كتب...

تكلم سام بحدة وكأنه يفضل عدم متابعة هذه المحادثة: «أنا كاتب سيناريوهات».

كاتب سيناريوهات يعيش في غابات يوركشاير؟! يبدو ذلك بعيداً جداً عن أجواء الأفلام والتلفزيون.

قال سام بسخرية حين رآها صامتة: «من المفترض أن تقولي يا للروعة! أمر مدهش!».

لم تتفوه كريس بكلمة حين أدركت أنها كانت على وشك التفوه بإحدى هاتين العبارتين. إنه فعلاً شخص غريب، يهاجم حتى قبل أن تتمكن من التفوه بأي كلام!

تابع قائلاً: «ستقولين ذلك حتى إن كنت لا تملكين أي فكرة إن كان فعلاً عملي رائعاً أو مدهشاً!».

إنه ليس على حق في ذلك... لكنها عرفت من تعابير وجهه أنه لن يصدقها لو حاولت التبرير. بدا صوته قاسياً وكأن فيلاً برياً يمشي باتجاهها، لذا من المستحيل أن تكون ردة فعلها بالكلام عن الروعة والدهشة من عمله!

أجابته كريس أخيراً بخفة: «أشك بأنك كنت لتعمل في كتابة السيناريوهات لو لم تكن موضع اهتمام وحماس لديك».

- ذلك غير صحيح! أنا فقط أعمل كي تبقى الذئاب بعيدة عن باب منزلي.

أرادت أن تنهي التوتر الذي عاد يسيطر بينهما من جديد، فقالت

ممازحة: «أو لتبقي ذلك الذئب الذي تمتلكه داخل المنزل!».

- نعم، ولأجل هذا أيضاً. هل قررت ما الذي ستأكلينه الآن؟

ثم نظر نحو قائمة الطعام أمامها والتي لم تمسكها بعد، ففهمت أنه يقصد بأن المحادثة عن عمله انتهت.

أعادت انتباهها إلى قائمة الطعام... ربما يحسّن الطعام من مزاج سام.

اكتشفت بعد خمس عشرة دقيقة، حين وضعت نادلة جميلة في منتصف العمر، طعامهما على الطاولة أن ذلك سيساعده بالتأكيد على تحسين مزاجه.

بدت قطعة الستيك والشطيرة اللتين طلبتهما شهيتين جداً، أما العجينة فذابت في فمها كالكريما. حتى البطاطا المقرمشة بدت شهية للغاية.

تمتم سام حين رآها تأكل بشهية: «إنها نكهة خاصة بيوركشاير».

ثم أضاف برضى: «إن أمضيت أسبوعين هنا ستسترجعين كل الوزن الذي فقدته».

نظرت نحوه بتعجب، وسألت: «ما الذي يجعلك تعتقد أنني خسرت وزناً؟».

- آه! ذلك سهل جداً.

توقف عن الكلام كي يأخذ قضمة من الشطيرة التي طلبتها ثم قال: «ثيابك مثلاً، من الواضح أنها أنيقة ومن نوعية جيدة، لكن مقاسها كبير قليلاً عليك. كذلك خاتم زواجك، فهو واسع في إصبعك».

ثم تابع قائلاً: «إن لم تكوني حذرة، فسيقع يوماً ما من إصبعك».

إنه محق طبعاً. في الواقع، لقد فكرت حتى بخلع خاتم زواجها منذ شهرين إن لم تقم بتضييقه. لأنها خشيت أن يقع يوماً من إصبعها، وعندها ستفقده إلى الأبد. لقد فقدت جايمس، ولن تتحمل فقدان خاتم زفافهما أيضاً.

قالت ساخرة: «آه... تبدو لي كشارلوك هولمز!».

هزّ كتفيه: «إنني دقيق الملاحظة فقط».

- لا بد أن ذلك يساعدك وأنت...

قطعت جملتها حين أدركت أنها توشك أن تتكلم عن موضوع محرّم وهو عمله. قالت بدلاً من ذلك: «دقة الملاحظة في ما يتعلق بالآخرين ليست من صفاتي القوية».

- ربما أنت محقة، لكنني واثق أنك تستطيعين إخباري بتفاصيل مكونات هذه الأطباق بمجرد أن تتذوقيها...

وافقته وهي تضحك: «أظن أن بإمكاني القيام بذلك فعلاً! يا لك من ماكر!».

أشار قائلاً: «قلت لي إنك طباخة محترفة، لذا من السهل أن أتوقع ذلك».

ربما! لكن ليس هذا ما قصدته. وصفته بالماكر لأنه حريص جداً على إخفاء أفكاره ومشاعره ومختلف شؤونه.

أكدت له بخفة: «إنه طعام شهي».

وافقها وهو يكمل تناول طعامه: «نعم، إنه لذيذ بالنسبة لما تقدمه المقاهي».

راقبته كريس وهي تكمل تناول طعامها من بين رموشها الطويلة. إنه يملك صوت رجل مثقف، وبدا معتاداً على تناول الطعام في أماكن أكثر فخامة. تساءلت بقوة ما الذي دفعه للعيش في يوركشاير بين الغابات، وعزل نفسه عن الناس، باستثناء عائلته. بل عن معظم الناس، صححت كريس لنفسها حين تذكرت كارولين.

أدركت كريس أن هذا الرجل أثار اهتمامها أكثر من اللازم. وجعلها ذلك تفقد شهيتها للطعام. ليس من الحكمة أن تهتم لأمر رجل مثل سام.

أصبح الأمر أكثر صعوبة تلك الليلة حين استمتعا لاحقاً بتناول البيض والسلمون في المنزل، ثم دعاها سام للانضمام إليه في غرفة

الجلوس لمشاهدة فيلم فيديو.

بدت الغرفة رائعة بأثاثها ذي اللونين الذهبي والبني. أصبح الجو حميماً جداً حين أشعل سام مدفأة ذات طراز قديم، ما جعل الموقف صعباً جداً على كريس. بدا كأنهما حبيبان يمضيان أمسية مريحة برفقة بعضهما!

ما الذي يحدث لها؟

لقد أحبت جايمس... أحبته من النظرة الأولى. وازداد ذلك الحب مع مرور الأسابيع، وأصبح واضحاً أنه شعر مثلها تماماً. لكن...

لقد كذبت في النهار... وكذبت على نفسها أيضاً حين ادّعت أنها ليست دقيقة الملاحظة في ما يخص الآخرين. فهي تعرف أنها لم تشعر تجاه أي رجل آخر بما تشعره تجاه سام. سألها صوت صغير خائن في رأسها قائلاً: «حتى تجاه جايمس؟!».

لفتت نظرها الشعيرات الداكنة التي غطت معصميه وتلك الظلال فوق ذقنه التي تخبره بالحاجة كي يحلق ذقنه. لفتتها رائحة شعره الطويل الداكن ولياقة جسده وذلك الخط الأسود الدائري الذي يحيط بعينيه الخضراوين.

إنه فعلاً يلفت نظرها... كما يفعل الآن بالذات. تفاجأت كريس قليلاً حين أتى ليجلس بقربها على الأريكة بدل الجلوس على أحد المقعدين المجاورين للمدفأة.

لكن ميرلن لم يأتِ إليها مثله، بل وجد لنفسه مكاناً فوق السجادة أمام المدفأة. دفن أنفه بين يديه وأغمض عينيه كي ينام.

عبس سام في وجه كريس متسائلاً وهو يضع يده على ظهر الأريكة: «ما المشكلة، كريستال؟».

ابتلعت كريس ريقها بصعوبة، وشبكت ذراعيها فوق صدرها لتحمي نفسها وهي لا تدرك ما يحدث معها. كل ما تعرفه هو أن أمراً غير مريح يجري معها.

قالت ببساطة: «أنا لا أفهم ما الذي تعنيه؟».

كشر سام وقال: «تبدين... متوترة. هل فعلت شيئاً يغضبك؟ لأنني إن فعلت...».

أكدت له قائلة: «لا، أنت لم تفعل شيئاً».

إنه لم يفعل شيئاً مطلقاً. هي فقط من شعرت فجأة بتلك المشاعر الغريبة. تابعت تبرر: «أنا أعتذر إن لم تكن رفقتي جيدة. لكنني... متعبة قليلاً، هذا كل ما في الأمر».

فهم سام على الفور ما تحاول قوله فقال لها بحزم: «لا يزال الوقت مبكراً لتخلدي إلى النوم».

ثم أضاف بهدوء: «خصوصاً بمفردك!».

بدا ذلك التعليق قوياً بالنسبة لها، لا سيّما بعد إدراكها منذ وقت قصير مدى تأثير سام عليها، فتلونت وجنتاها بحرارة.

تابع سام: «بالإضافة إلى أنك خلدت بالأمس إلى النوم باكراً وذلك لم ينفعك، لأنك شعرت بالحاجة للخروج من غرفتك في منتصف الليل. أنا آسف حقاً... على فكرة، سأحرص على أخذ ميرلن إلى غرفتي هذه الليلة».

لم تملك كريس أدنى فكرة عن موقع غرفة سام... وهي لا تود أن تعرف حتى أين هي غرفته! ذلك لا يهمها بالتأكيد.

يا للفظاعة! ما الذي يحدث معها؟ إنها في السادسة والعشرين، ورغم أن علاقتها الجدية الأولى كانت مع جايمس، إلا أنها خرجت من قبل مع العديد من الرجال. لكن لا أحد منهم أثر بها كما يؤثر بها سام...

حرك سام يده خلف الأريكة، ثم أمسك بخصلة من شعرها الحريري وأخذ يمرر أصابعه فيها: «ماذا تسمين هذا اللون؟».

أجابته كريس بسرعة: «أشقر».

قاومت رغبتها في الابتعاد عنه على الفور. يجب ألاّ تشعر بحرارة أصابعه في شعرها، لكن رغم ذلك... كل عصب من أعصابها شعر بلمسته.

ابتسم وهو يهز رأسه وينظر نحو الخصل الحريرية وهي تتحرك بين أصابعه وقال: «إنه ذهبي مشرق. هذا أقرب تشبيه للونه. وهو ليس وصفاً دقيقاً أيضاً».

تمنت كريس أن يتوقف عن لمس شعرها، وأن تكف عن الشعور بحرارة تنفسه فوق وجنتيها. إنها لا تريد أن تتنشق المزيد من عطره المميّز...

قالت له بحدة: «إنه لونه الطبيعي، إن كنت تتساءل».

تذمرت حين أمسك بخصلة منه بقوة وشدها بيده. قالت بانزعاج: «آخ...! أنا أقصد...».

عبس بشدة وقد أمسك بشعرها بقوة كي لا يسمح لها بالابتعاد، لكن ليس إلى حد إيلامها. قال: «هل يزعجك أن ألمسك هكذا؟».

يزعجها؟! إنها بالكاد تستطيع أن تتنفس، وتشعر كأن ناراً قد أشعلت في جسدها. إن كان هذا ما يقصده!

أنكرت قائلة: «بالطبع لا».

تحركت قليلاً كي تخلّص خصل شعرها من بين أصابعه، وتجلس بشكل مستقيم. ثم تابعت تقول: «أعتقد أنني لم أطلب منك ذلك ولم أدفعك لفعله. لكن ذلك...».

قال سام مقاطعاً وهو يراقبها: «إنه يزعجك كريستال...».

توقف عن الكلام حين رآها تقف من مكانها. ثم تقول له بغضب: «لِمَ تصر على مناداتي باسمي الكامل بينما يناديني الجميع كريس؟».

قالت ذلك مهاجمة وقد شعرت بالعواطف تجتاح جسدها كله فتسبب لها التوتر.

أجابها بهدوء: «ربما لأنني أفضل ألاّ أُعتبر مثل الجميع».

أجابته بسخرية: «إنها غطرسة منك! أليس كذلك؟».

أدركت أن كلامها قاسٍ جداً، لكن الكلام المهذب ليس أبداً من صفات أحاديثها مع سام.

هزّ رأسه وقال: «ربما!».

راقبها وقد ظهرت التسلية على وجهه وهو يجلس بارتياح على الأريكة. ثم قال مظهراً بعض الاشمئزاز من اسمها المختصر: «لكن اسم كريستال جميل جداً كي يختصر بكريس!».

- ربما أعتبر أنا اسم ساميل أجمل من سام!

ها هي تتصرف كالأطفال الآن... علمت كريس ذلك. لكن شيئاً بداخلها دفعها لفعل ذلك. جزء منها شعر باليأس من مقاومته... على الأقل حين يكون متغطرساً وقاسياً تعرف كيف تتعامل معه!

ابتسم وقال: «ربما تفعلين».

بدا هادئاً وغير متأثر بغضبها وتابع: «وأنا آسف لتخييب ظنك، لكنني عُمّدت باسم سام منذ ولادتي!».

أدركت كريس أنها جعلت من نفسها أضحوكة الآن من دون سبب على الأرجح، فسام لم ينزعج أبداً من تعليقاتها. في الواقع بدت على وجهه ملامح التسلية أكثر من أي وقت مضى.

قالت بنفاد صبر: «حسناً، يا سام...! ظننت أننا سنشاهد فيلم فيديو».

وافقها وهو لا يزال يراقبها مفكراً، وقد ظهر في عينيه عبوس باهت: «سنفعل ذلك، كريستال. ما بك؟ رحت تتصرفين فجأة كأنك طفل حديث الولادة؟».

لأن هذا ما شعرت به حالياً! إنها في السادسة والعشرين، وسبق لها أن تزوجت وشعرت بالسعادة مع زوجها... إلا أن ما تشعر به الآن مع سام هو أمر جديد تماماً عليها.

ربما هو تأثير هواء يوركشاير المنشط! ربما جعلها ذلك الهواء النقي النظيف تشعر بعدم التوازن، لأن هذا ما تشعر به. إنها غير متوازنة وتشعر بدوار في رأسها، وغير قادرة على التفكير بأمرين في الوقت نفسه!

قال سام بصوت أجش: «ظننت أننا أمضينا نهاراً جيداً جداً مقارنة

ببداية تعارفنا غير اللطيف بالأمس».

- بالطبع! لكنني فقط...

قطعت كلامها بتنهيدة قوية.

إنها فقط... ماذا؟ سألت نفسها بنفاد صبر. إنها فقط لا تشعر أن سام مجرد شقيق لمولي؟ وإن هذا الرجل لا يشبه أي رجل التقته من قبل، أو حتى أي رجل يمكن أن تلتقيه في المستقبل؟! لم تعجبها الطريقة التي شعرت بها تجاهه، فهي تجعلها تشعر أنها ليست وفية لجايمس، وللوقت الذي أمضياه معاً... ليست وفية لزواجهما ولحبهما. إحساسها بالانجذاب نحو رجل آخر هو خيانة لما تشاركته مع جايمس. وما يجري مع سام هو بالتأكيد مجرد انجذاب جسدي، أليس كذلك؟! ألم...؟

وقف سام أيضاً وبدأ يتحرك نحوها: «كريستال...؟».

لم تستطع كريس أن تتحرك. شعرت كأن قدميها مسمرتان في السجادة.

احتج سام بخشونة قائلاً: «كريستال. هذه ليست فكرة جيدة!».

شعرت كأنها أرنب سلطت عليه أضواء سيارة قوية. لم تعد قادرة أبداً على الحركة، بينما شاهدت سام يقترب منها ويلف ذراعيه القويتين حول خصرها. اتسعت عيناها بينما التقت نظراته بنظرات عينيها المصدومتين، فاقترب منها أكثر ليضمها بقوة إلى صدره.

أطلقت كريس صوتاً خفيفاً من حنجرتها وهي تتلقى عناقه القوي. أغمضت عينيها وامتلأ جسدها بالدفء بينما حركت ذراعيها لتضعهما فوق كتفيه.

بعد مرور عدة ثوانٍ، تمتم سام قائلاً: «أنت جميلة جداً...».

في تلك اللحظة، شعرت فعلاً أنها جميلة، شعرت أنها جذابة، وأن كل جزء منها حيّ ويتحرك بنشاط.

أدركت فجأة ما الذي يجري لهما. ظنت السنة الماضية أن عواطفها قد ماتت وأصبح كل ما تقوم به مجرد روتين يومي خال من أي رغبة، والآن

جعلها سام تشعر بالحياة مجدّداً...

رفع رأسه لينظر نحوها: «كريستال؟».

حدق بها بنظراته الداكنة وقد شعر بصدمتها القوية لاكتشافها الحياة... أو الحب... وهو يجري في عروقها مجدداً.

ابتلعت ريقها بصعوبة. كانت نظراتها الخاصة موجهة مباشرة نحوه.

ارتجفت قليلاً بين ذراعيه، وبللت شفتيها الجافتين قبل أن تقول: «أريد أن...».

- مرحباً...! هل من أحدٍ في المنزل؟

بدت صدمة كريس لسماع ذلك الصوت أكبر من صدمتها الأولى! اختفى اللون تماماً من وجنتيها، وزاد عبوسها وقد شعرت بالارتباك. بسرعة، أفلت سام ذراعيه عن خصرها ومشى مبتعداً عنها.

من تراه القادم الآن؟

فجأة فُتح باب غرفة الجلوس، ووقفت مولي عند الباب بابتسامتها المشرقة العريضة.

فتحت ذراعيها على اتساعهما وهي تصرخ بسعادة: «مفاجأة!».

ثم تابعت بحماس وهي تدخل إلى الغرفة لترمي بوشاحها وقفازيها على أحد المقاعد: «تمكنت من المجيء باكراً من الولايات المتحدة هذا الصباح. ثم أخذت رحلة ثانية إلى المنطقة، وبعدها استأجرت سيارة... وها أنا هنا الآن!».

ثم تحركت بسرعة نحو كريس لتعانقها بقوة.

نعم إنها هنا! فكرت كريس وهي مخدرة الأحاسيس... التقت نظراتها بشكل خاطف بنظرات سام من فوق كتف مولي بينما تعانقت المرأتان، لكن رسالة خاصة مرت بينهما وكأنهما يعرفان أنها هي من كانت ستشعر بالمفاجأة لو أنها وصلت بعد بضع دقائق...

٨ - إنها كريستال!

الحمد لله! يبدو أن مولي لم تلاحظ صدمة كريس وهي تتركها كي تتجه نحو شقيقها. أعطى ذلك بعض الوقت لكريس لتستجمع قواها مجدّداً.

لم يكن من السهل عليها فعل ذلك، فقبل وصول مولي المفاجيء كانت على وشك البوح لسام بحبها له. تنهدت في سرها بخجل واستدارت لتنظر نحو نار المدفأة. شعرت بالندم كثيراً على ما فعلته. لقد أظهر لها سام بكل صراحة أنه لا يقبل أحداً في حياته سوى أفراد عائلته... لمجرد أنه عانقها، وقال لها إنها جميلة، فهذا لن يغيّر الواقع. بِمَ كانت تفكر بحق السماء؟!

لم تكن تفكّر مطلقاً، كانت تحسّ فقط... وهذه هي المشكلة!

خلعت مولي معطفها وهي تقول: «يا إلهي! الحمد لله إنني وصلت إلى هنا أخيراً!».

مولي قصيرة القامة ذات شعر أحمر، يظهر دفء شخصيتها وابتهاجها في عينيها البنيتين الضاحكتين. قالت باهتمام وهي تتحرك نحو المدفأة لتدفيء يديها: «إذاً! ماذا فعلتما اليوم قبل وصولي؟».

لم تستطع كريس أن تنظر حتى باتجاه سام في تلك اللحظة... لم تكن واثقة حتى أنه تكلم منذ انتهاء عناقهما. لكنها تصورت أنه ربما قال شيئاً ليرحب بمولي عند وصولها. لم يبدُ على صديقتها مطلقاً أنها شكت بوجود أي أمر غريب بينهما...

أجابت كريس بهدوء: «قمنا بأمور عديدة...».

أدركت أن عليها أن تتماسك جيداً كي لا تسمح لمولي بأن تشك بأي شيء.

في المرة الأخيرة التي التقت فيها مولي بكريس، كانت هذه الأخيرة تنتحب لموت زوجها. ومولي بالتأكيد تدرك تماماً مدى عدائية شقيقها... لذلك لن يساورها أي شك بشأنهما. الحمد لله...!

تابع سام إجابة كريس غير المكتملة ليخبر مولي: «ذهبنا في نزهة طويلة إلى البرية عند الصباح. ثم ذهبنا للغداء خارجاً. أما بعد الظهر فـ...».

رفعت مولي يدها وهي تبتسم: «توقف. دعني أجلس أولاً، ثم سأستمع إليكما!».

جلست على الأريكة التي تركها منذ قليل سام وكريس، وقالت ببطء: «أنا متعبة جداً بعد رحلتي الطويلة».

لم تبدُ متعبة حقاً، بل بدت نشيطة كالعادة. ارتدت مولي كنزة ذات قبة عالية زهرية اللون وبنطلوناً ذا لون خمري، أما حذاؤها فبدا لونه مناسباً جداً مع الثياب. تملك مولي سحراً متألقاً يضفي رونقه على ملامحها الكلاسيكية. أعطى ذلك عينيها البنيتين دفئاً ناعماً. وهذه ميزة نادرة أعطتها أفضلية على غيرها من الممثلات.

سألتها كريس بهدوء: «هل أحضر لك شيئاً كي تأكلي؟ أنا واثقة، من خبرتي الخاصة، أنك لم تأكلي شيئاً طوال رحلتك إلى هنا!».

ابتسمت مولي وهي تنظر نحوها، وقالت: «أتعرفين بما أرغب فعلاً الآن؟ أرغب بالفطائر المحلاة وشراب القيقب مع الآيس كريم!».

قال سام مكشراً: «لقد أمضيت فترة طويلة في أميركا، يا فتاة...».

ثم أضاف ممازحاً: «وربما أنت حامل مثلاً...؟».

أجابته مولي: «ها.. ها.. ها.. مضحك جداً! لا تسخر من الأمر قبل أن تجربه!».

سألها سام بسخرية مجدداً: «أتقصدين الحمل أم الفطائر المحلاة والآيس كريم؟».

- سام...!

قاطعت كريس مزاح الشقيقين، وهي تشعر بالسعادة لوجود عذر كي تغادر الغرفة وتذهب إلى المطبخ. فقالت: «ستأتي الفطائر المحلاة والآيس كريم في الحال».

إنه هروب فعلاً! أخبرت نفسها بذلك حين خرجت من الغرفة. لكنها لم تستطع أن تتخلص من تلك الفكرة: لو لم تصل مولي في تلك اللحظة...!

آه! عليها التحرر من جديد والمضي في حياتها...

لكنها لا تريد المضي في حياتها... أم تراها تريد؟

سمعت صوت سام من خلفها قائلاً: «اجعليهما فطيرتين واثنين من الآيس كريم».

أجفلت كريس ما جعل البيضة التي أخرجتها من الثلاجة للتو تفلت من يدها.

اشتكت بتوتر قائلة: «انظر ماذا سبّبت لي الآن!».

علا الاحمرار وجهها وهي تنزل على ركبتيها لتنظف تلك الفوضى. لم يجعلها وجود أي شخص تقوم بخطأ مماثل من قبل، لكن ظهور سام في الغرفة نفسها بدا كافياً ليوتر أعصابها.

أمرها سام قائلاً: «دعيها!».

ثم نزل على ركبتيه وأمسك بذراعها وجعلها تقف من جديد. ذكرها وعيناه تحدّقان بوجهها الشاحب: «لم نكمل حديثنا بعد!».

حدقت كريس به... لا داعي لأن يذكرها بذلك... آه! لكنه ليس من النوع الذي يخجل من أي شيء، حتى المواقف المحرجة... المحرجة لها...

أخبرته بصوت عادي: «انتهى الحديث سام».

التقت نظراتها الحادة القوية بنظراته لتقول له أكثر مما قالته كلماتها. إذ لم ينته الحديث فحسب بينهما، بل انتهى كل شيء. استمر بالنظر إليها

لثوانٍ طويلة وقد ضاقت عيناه، ثم قال لها بحزن وهو يترك يدها بسرعة: «أهو تهديد؟».

قالت وهي تستدير للابتعاد: «ربما».

ثم أضافت وهي تحاول تركيز اهتمامها على تنظيف البيض مجدداً عن الأرض: «الحمد لله أن مولي وصلت في الوقت المناسب، أليس كذلك؟».

- إنه رأيك في النهاية.

رفعت رأسها لتحدق نحوه قائلة: «ألن تشعر مولي بالغرابة لأنك تركتها بمفردها وهي توضب أغراضها، وقد وصلت للتو؟».

ردد الكلمة نفسها التي استخدمتها وقال: «ربما!».

ثم تابع: «لكنني لست هنا لأسلّي مولي».

علّقت كريس قائلة: «ولا لتسليتي».

رمت المناديل المغمسة بالبيض في سلة المهملات متعمدة إبقاء نظراتها بعيدة عن سام، لكنها أدركت أن جزءاً منها لا يزال ينبض بالحرارة التي شعرت بها بين ذراعيه.

ردّ عليها ساخراً: «أنا أريد أن أكتشفك من جديد لا أن أسلّيك».

فكرت كريس أنها فعلاً تستحق إجابته اللاذعة.

قالت له بلطف وهي ترفض الاستجابة لتهجمه الواضح: «ستجهز الفطائر خلال خمس دقائق».

أصبحت نظراته جليدية الآن، وأخيراً قال ببطء: «لم أعد واثقاً إن كنت لا أزال جائعاً!».

ردّت كريس بنفاد صبر: «خذ قراراً سام. أتريد أم لا تريد؟».

أخذ نفساً عميقاً وقد ظهر عرقاً نابضاً في رقبته: «على العكس مما قد تعتقدين أو تقولين، فأنا أعتبر أن حديثنا لم ينتهِ مطلقاً بعد!».

شعرت بانقباض عند فم معدتها بسبب التهديد الذي يختبىء خلف كلماته. سوف يتعمد العودة إلى ذلك الحديث من جديد، على الأرجح

حين يتمكنان من التكلم من دون مقاطعة مولي لهما.

لم يظهر توترها حين حملت البيضة الثانية وكسرتها فوق الصحن العميق المليء بالطحين. وسرعان ما خرج سام من المطبخ دون أن يضيف شيئاً.

اعتقدت كريس أن الموقف سيغدو أكثر سهولة بعد وصول مولي، لكن ما حدث بينها وبين سام منذ وقت قصير جعل ذلك مستحيلاً. في الواقع، جعل وصول مولي الأمور أكثر تعقيداً، إذ لم يعد أمام كريس أي حجة لترحل وتترك صديقتها التي وصلت للتو!

رغم أن ذلك هو أكثر ما ترغب به الآن! بالطبع هي ترغب بذلك. أليس من الطبيعي أن تشعر بتلك الطريقة؟ لقد توفي زوجها منذ سنة، وتوفي والداها منذ ستة أشهر. أليس من الجنون أن تتورط عاطفياً مع أي شخص مجدداً... لا سيّما مع رجل مثل سام؟!

يعيش سام حياة منعزلة جداً باستثناء وجود ميرلن إلى جانبه. وإن كان هناك امرأة في حياته ككارولين مثلاً فهو في الواقع ليس مستعداً أن يسمح لها بمشاركته حياته الخاصة. وكريس ليست من النوع الذي يقبل بالعلاقات العابرة ثم المضي بالحياة كأن شيئاً لم يكن. لم تكن يوماً كذلك!

قاطعت مولي أفكار كريس حين دخلت إلى المطبخ، وقالت بحماس وهي تمرر أصابعها بين خصل شعرها الأحمر: «يا إلهي، من الجيد أن أصل إلى هنا أخيراً!».

ثم أضافت وهي تنظر نحو كريس: «ومن الجيد أن أراك أيضاً».

عادت لتؤكد لكريس بعد أن نظرت إليها بتردد: «كيف تسير الأمور؟ آه... لا تقلقي، لقد خرج سام في نزهة مع ميرلن».

أجابت كريس صديقتها بجفاء: «الأمور تسير بشكل جيد».

حركت خليط الفطائر المحلاة في الوعاء بانتظار أن يغلي الزيت قبل أن تقليها، وتابعت: «العمل في المطعم جيّد، ولدي بضعة أسابيع استراحة من...».

قاطعتها صديقتها وهي تشد على ذراعها: «أنا لا أسألك عن المطعم. أريد أن أعرف كيف حالك أنت؟».

ابتسمت كريس بهدوء وقالت: «حسناً! العمل هو كل ما لدي الآن».

عبست مولي وقالت: «أما زلت على الحال نفسه؟ لقد مرّت سنة منذ... حسناً منذ...».

أنهت كريس الجملة بدلاً منها: «... منذ وفاة جايمس... يبدو أنك تواجهين صعوبة بقول ذلك أكثر مني...».

رمقت صديقتها بنظرة متفحصة.

شاركت مولي في جنازة جايمس، ثم بقيت الصديقتان على اتصال عبر الهاتف. بعدئذٍ ظهرت مولي في جنازة والدي كريس بعد عدة أشهر، لكنهما لم تجلسا معاً منذ فترة طويلة جداً.

كانت مولي صديقة جايمس قبل أن تعرّفه على كريس بفترة طويلة. وتساءلت كريس في البداية إن كانت دخيلة على علاقة رومنسية تدور بين مولي وجايمس. لكن جايمس أكد لها وهو يضحك أنه ومولي لم يشعرا يوماً تجاه بعضهما إلاّ بصداقة قوية. لكن كريس لم تملك أية فكرة عمّا تشعر به مولي حيال الموضوع...

بدت مولي غير مرتاحة قليلاً وهي تعض على شفتها، ثم بدأت تقول: «إن أردت معرفة الحقيقة، كريس...».

تصلبت كريس، وهي غير واثقة إن كانت ترغب الآن بالذات بمعرفة الحقيقة. إنها لا تزال تحاول التخلص من الشعور بعناق سام، وهي لن تستطيع تحمل صدمة أخرى... كسماع مولي تخبرها مثلاً أنها كانت مغرمة بجايمس!

تنهدت مولي وقالت مكشرة: «لطالما شعرت ببعض الذنب بشأن جايمس».

كررت كريس خلفها: «شعرت بالذنب؟».

تمتمت مولي وهي تقول: «همم... لكن ربما هذا ليس الوقت المناسب للتكلم بالموضوع».

ربما هي محقة... لكن طالما بدأت تتكلم بالموضوع...

قالت لها كريس لتحثها على الكلام: «لا بأس بذلك، مولي».

- حسناً! اسمعيني...

قطعت مولي كلامها ضاحكة حين دخل ميرلن إلى المطبخ. قفز الكلب عليها وكاد يوقعها على الأرض لشدة حماسه لإلقاء التحية عليها. فقالت مولي: «مرحباً مجدداً ميرلن!».

علمت كريس أن سام لن يكون بعيداً كثيراً عن المكان الذي يتواجد فيه ميرلن. ذلك الكلب لا يبتعد عن صاحبه أبداً... إلا حين ينام أمام غرفة نوم النساء للحراسة! رغم معرفتها بأنه قريب، شعرت كريس بالتوتر حين دخل سام إلى المطبخ بعد ميرلن بثوانٍ.

رمقها بعينيه الخضراوين الباردتين بسرعة قبل أن يوجه انتباهه نحو أخته والكلب، ثم أمر الكلب قائلاً: «انزل ميرلن».

أطاع الحيوان صاحبه، ثم بدأ يراقب تحركات كريس بجانب السخان.

ابتسمت مولي ابتسامة عريضة قائلة: «ألن نشعر كأننا في الجنة لو أن جميع الذكور مطيعين مثل ميرلن؟!».

لوى سام شفتيه وقال بسخرية: «عزيزتي مولي... معظمنا مطيعون في الظروف المناسبة!».

أجابته مولي بمكر: «يمكنني أن أتوقع ما هي تلك الظروف!».

تحدى سام كريس وهو يرتاح على كرسي: «ماذا عنك كريستال؟ هل بإمكانك أنت أيضاً أن تتوقعي تلك الظروف؟».

لم يبدُ حديثه مهذباً تجاه ضيفة غريبة، لا سيما أنها ليست ضيفته بل ضيفة مولي. في الواقع إن مولي من أذكى الأشخاص الذين التقت كريس بهم في حياتها، لذلك فهي لا تتوقع أن تبقى غير منتبهة لما يجري إن ظل سام يتصرف بتلك الطريقة.

سألته كريس بسرعة: «أبإمكانك تجهيز الطاولة؟ أصبحت الفطيرة الأولى جاهزة الآن».

ضحكت عيناه الخضراوان بسبب الطريقة التي تملصت فيها من الإجابة. سألها سام وهو يقف: «لكم شخص أحضرها؟ لاثنين أو ثلاثة؟».

- لاثنين.

شجعتها مولي بحماس: «آه! انضمي إلينا كريس. ستكون هذه كاحتفالات منتصف الليل التي كنا نستمتع بها في المدرسة.. أتذكرين؟».

التمعت عينا مولي بذكريات تلك الليالي حين كانتا تتسلّلان خارج المدرسة لتجلسا فوق حائط الملعب المطل على البحر. كانتا تأخذان علبتي طعام وشراب معهما، تشعران أنهما جريئتان لمخالفة قوانين المدرسة. أنهى سام مهمته بإعداد المائدة ثم كرر خلفها بسخرية: «آه نعم، انضمي إلينا كريستال. عندها ستخبرانني كيف تمكنتما يوماً من إنهاء واجباتكما المدرسية».

جعدت مولي أنفها وهي تنظر إليه، وقالت: «آه! لا تكن قديم الطراز سام. ألم تقم يوماً...؟»

قطعت جملتها لتعلق بينما وضعت كريس طبق الفطائر والآيس كريم على الطاولة: «آه، شكراً كريس... يبدو هذا شهياً. أعذرني سام، لكن علينا متابعة نقاشنا لاحقاً، فطعام كريس لا يقاوم».

أخبرت كريس سام بهدوء بينما جلس بمقابل أخته خلف الطاولة: «سيجهز طبقك قريباً».

واجهها بنظراته متحدّياً ثم قال بهدوء أيضاً: «بإمكاني الانتظار».

تحركت سريعاً نحو السخان كأنها أرنب خائف. لقد بدأت تشعر بتهديدات على جبهات متعددة... إذ بدت مولي على وشك الاعتراف ببعض الأسرار، وهي أسرار علمت كريس أنها لا ترغب بسماعها. أما بالنسبة لسام، فهو يكره أن يعارضه أحد، وهذا بالضبط ما فعلته اليوم

حين رفضت مناقشة ما حدث بينهما. حسناً! سيكون عليه أن يستمر بالتفكير كما شاء، لأنها لا تنوي...

تنشقت مولي بصوت مرتفع، وقالت: «همم... هذا لذيذ! يستحق كل ساعة سفر قطعتها اليوم. انتظر حتى تتذوقها سام».

أجابها سام بسرعة: «سبق أن تذوقت طعام كريس».

- ماذا؟

صرخت مولي في وجهه، وكادت تختنق بطعامها ثم سألته بحنق: «هل جعلتها تعمل منذ وصولها إلى هنا؟».

هز سام كتفيه بلا مبالاة: «لم يكن لديها أمور أخرى تقوم بها».

اتسعت عينا مولي وقالت: «لكن سام...».

قاطعتها كريس قائلة: «أخوك محق مولي».

قدمت شراباً بارداً لسام وهي تكمل: «كنت سعيدة للقيام بعمل مفيد».

- لكن...!

وضعت كريس الصحن أمام سام بحزم وقالت: «هذه لك سام».

ثم وضعت وعاء الآيس كريم وإبريق الشراب بجانبه وقالت: «هيا اخدم نفسك بوضع ما تشتهيه في صحنك».

ردّ سام بسخرية وهو ينظر نحو صحن مولي الجاهز: «تبدو الخدمة سيئة».

نظرت مولي إليه ترمقه بنظرات قاسية، وقالت: «سام، لا يمكنك التحدث مع كريس بهذه الطريقة!».

- أعتقد أنني فعلت للتو.

بدا غير منزعج أو نادم على تصرفاته.

- نعم، لكن...!

رمقت كريس صديقتها بنظرات تحذيرية، وقالت: «ذلك لا يهم حقاً، مولي».

وأخذت بتحضير فطيرة لنفسها غير راغبة بجعلهما يتعاملان معها كأنها نجمة السهرة...

لم ترضَ مولي بالصمت بل بقيت تحدّق بأخيها وهي تقول: «بالطبع، ذلك يهم».

أجابها سام ببرودة: «يبدو أن كريستال لا تمانع، فلماذا تفعلين أنت ذلك؟».

ثم أضاف بسخرية: «بالإضافة إلى أنها طباخة ماهرة أكثر منك».

تنهدت مولي وهي تجيب بغضب: «بالطبع إنها كذلك، فالناس العاديون يدفعون أموالاً طائلة ليأكلوا ما تعدّه كريس أيها الرجل الناكر للجميل».

جمد سام مكانه وتوقفت يده التي تحمل ملعقة مليئة بالطعام مكانها لفترة قبل أن يكمل الأكل وقد ضاقت عيناه.

نظر نحو كريس وسأل ببطء: «ولماذا يترتب على هؤلاء الناس أن يدفعوا أموالاً طائلة ليأكلوا ما تعده كريستال؟».

زاد ذهول مولي وهي تقول: «لأنها كريستال أيها السخيف».

- لقد ناديتها بذلك للتو. ألم أفعل؟

- نعم، لكن...!

قال سام بنفاد صبر: «توقفي عن بدء جملك بنعم لكن... بحق السماء!».

حدقت مولي بوجهه، وقالت له: «ربما إن توقفت عن مقاطعتي سأفعل!».

أجابها بعناد: «ما كنت لأقاطعك لولا أنك تتفوهين بالحماقات».

- أنت...

قاطعتها كريس بلطافة وهي تحمل صحنها لتنضم إليهما على الطاولة: «أرجوكما!».

اختارت أن تجلس بقرب مولي بدلاً من المكان الذي جهزه لها سام

بجانبه: «أرجوكما، لا تتعاركا بسببي! أعتقد أن مولي تحاول أن تخبرك أنني...».

قاطعتها مولي بقوة: «إنها كريستال!».

- بدأت تعيدين كلامك التافه الآن!

عندها شرحت له مولي قائلة: «ألم تسمع بمطعم كريستال في لندن، وبالبرنامج التلفزيوني «مطبخ كريستال»؟ بحق السماء، سام! إنك تملك كتاباً من كتبها على رفوف مكتبتك. لقد اشتريته لك بنفسي لمناسبة عيد الميلاد السنة الماضية!»

نظرت كريس بحذر نحو سام من بين رموشها. رأت تعابير الكراهية على وجهه وهو يرمقها بنظرات اتهامية، فعلمت أن ضمانتها الوحيدة الآن هي البقاء صامتة.

إن ظنت مولي أنها قدمت خدمة لكريس بإخبار أخيها من تكون كريستال فعلاً، أي أنها صاحبة مطعم، وأن كتاب الطبخ الذي أعدته هو من بين أكثر الكتب مبيعاً، وأنها وجه تلفزيوني، فقد أخطأت بالتأكيد. كان عليها التفكير ثانية بالموضوع قبل التكلم. بدا سام كأنه يفضل عدم التواجد معها في غرفة واحدة بعد الآن!

٩ - لحظة استفزاز

في تلك اللحظة، بدت ردة فعل سام متناسبة جداً مع تعابير وجهه. وضع الملعقة والشوكة من يده تاركاً الفطيرة على حالها، ثم دفع بكرسيه إلى الخلف بفوضى، ووقف بسرعة في مكانه.

تمتم بحزم قائلاً: «أرجو أن تعذراني. تذكرت أن علي القيام ببضعة أشياء».

لم ينتظر ردهما، بل مشى خارجاً من الغرفة، ولحقه ميرلن الوفي على الفور.

علّقت مولي وهي لا تزال تحدّق به غير مصدقة: «حسناً! ما به بحق السماء؟!».

ثم التفتت نحو كريس بتعجب.

أجابتها كريس: «من القليل الذي عرفته عن أخيك في اليومين السابقين، أتوقع أنه اكتفى من سماع حديث النساء».

علمت كريس أن سبب خروجه بعيدٌ جداً عن تبريرها هذا، لكنها أملت أن تقتنع مولي بهذا الكلام... أما الحقيقة فهي أن سام أراد الابتعاد عنها هي بالذات!

هزت مولي رأسها وعبست غير مرتاحة للفكرة، وقالت: «هل هو على هذه الحال منذ أن وصلتِ؟».

ما الذي عليها أن تقوله لمولي الآن؟ لم يرحب بها سام عند وصولها، لكنهما خرجا معاً في الصباح للتنزه، ثم اصطحبها لتناول الغداء. وفي الواقع، إن العناق الذي حدث بينهما منذ بضع ساعات غيّر علاقتهما

تماماً، لكنها لن تخبر مولي بذلك بالطبع!

أجابت كريس ببرودة: «لقد تصرّف بشكل عادي. لا أظن أنه أعجب بمعرفة سيرتي الذاتية الآن. أعتقد أيضاً أنه كان ينتظر رجلاً اسمه كريس بدلاً مني أنا، ولم يساعد هذا الأمر بتحسين الأمور كثيراً».

هزت مولي رأسها بنفاد صبر وقالت: «استنتجت ذلك حين تكلمت معه بالأمس. بصراحة... الرجال لا يسمعون كلمة ممّا نقوله لهم!».

تنهدت وهي تتابع: «أمضيت سنوات وأنا أتكلم عن صديقتي كريس!».

أجابتها كريس بجفاء: «نعم، أخبرني ذلك. لكن من الواضح أنه لم يربط ما بين الاثنين، حين أخبرته أنك ستحضرين ضيفاً إلى المنزل».

ظهر في عيني مولي أنها توقعت الطريقة التي عامل بها سام كريس قبل وصولها، فقالت: «لا تقولي إنه عاملك بفظاظة حين وصلت بالأمس؟! أنا أعرف سام وهو ليس رجلاً سلس الطباع...».

طمأنتها كريس قائلة: «أخبرتك أنه تصرف بشكل عادي».

فكرت كريس أن تعليق مولي عن سام صحيح جداً فهو أكثر الرجال الذين التقتهم في حياتها غرابة.

قالت مولي ببطء: «أتمنى ذلك، فأنا حقاً أريدكما أن تتعودا على بعضكما».

نظرت كريس نحو مولي... أتراها تتخيل أم أن مولي أصبحت غامضة فعلاً فجأة؟!

- مولي، ماذا...؟

قالت مولي بسرعة، وكأن شهيتها قد عادت فجأة: «آه! لقد بردت فطيرتي الآن!».

أجابت كريس بعد مقاطعة مولي لها: «سأعد لك واحدة أخرى».

لكن حديثهما لم ينته بالنسبة لها فتابعت: «مولي...».

أكدت لها مولي تقول: «لا بأس بهذه سأكملها. لكنني متفاجئة لأن

سام لم يعلم من تكونين».

هزت رأسها غير مصدقة ما بدر عن أخيها.

لم تبذل كريس أي مجهود لتناول طعامها، فهي حضّرت طبقاً لها لتكون اجتماعية ليس أكثر. لكن من الواضح أن ليس لدى سام اعتبار لهذا المفهوم، فلِمَ تتعب نفسها إذاً؟

- لِمَ عليه أن يعلم؟

- اسمعي كريس، ربما أنت لا تملكين جهاز تلفزيون، لكن سام يملك واحداً بالتأكيد. لا أصدق أنه لم يشاهد على الأقل واحداً من برامجك. إنه الموسم الثالث الذي تظهرين فيه على الشاشات بحق السماء!

هذه هي ردة الفعل التي توقعت أن تراها حين خلعت القبعة والوشاح في المطبخ، عند وصولها بالأمس. فقد أتت إلى هنا لأخذ عطلة بعيداً عن المطعم والبرامج التلفزيونية والكتب التي ترافق تلك البرامج. لكن خوفها من أن يذكّرها أحدهم بحياتها العملية لم يكن في مكانه، فسام لم يتعرف عليها أبداً.

ابتسمت قليلاً وقالت لمولي: «يبدو لي أن سام ليس من الرجال الذين يتابعون برامج الطبخ».

وافقتها مولي بغضب: «ربما! لكن هناك كتبك أيضاً. لقد أهديته كتابك السنة الماضية لمناسبة عيد الميلاد. أخبرتك بذلك».

مازحتها كريس قائلة: «فكرة لطيفة منك مولي، لكن أشك أن يقرأ سام كتب الطبخ أيضاً. على الأرجح أنه رمى الكتاب على أحد رفوف مكتبته من دون النظر إليه حتى».

تمتمت مولي بحنق: «إذاً، أعتقد أن ذلك كان تصرفاً سيئاً منه».

علّقت كريس بلطف قائلة: «ألا تعتقدين أننا ابتعدنا عن الموضوع الأساسي قليلاً؟».

تثائبت مولي وهي ترمش بعينيها، ثم ابتسمت وقالت معتذرة: «أنا آسفة. أخشى أنني نسيت الموضوع الأساسي. في الواقع، أنا متعبة فقد

كان نهاري طويلاً جداً».

بالطبع إنه نهار طويل. سافرت مولي لساعات طويلة. لكن المسألة...

تابعت مولي تقول: «علي أن أعترف بهذا، فكرت أن من الأفضل أن آتي بسرعة بعد حديثي معك بالأمس. بدوتِ متوترة عبر الهاتف».

عبست كريس وهي تقول: «أنا نفسي كنت مسافرة طيلة النهار بالأمس، من الطبيعي أن أبدو لك متعبة أو متوترة».

هزّت مولي رأسها وقالت: «إذاً لن يضرنا النوم باكراً. أتمنى ألا تمانعي، فأنا فعلاً مرهقة. أؤكد لك أنني سأكون اجتماعية وأكثر حيوية غداً».

طمأنت كريس مولي وهي تبدأ بتنظيف الطاولة: «بالطبع، لن أمانع. اصعدي للنوم. وأنا سأنظف المطبخ».

ترددت مولي وهي تقول: «هل أنت متأكدة؟».

وقفت كريس وقالت: «بالتأكيد».

قضاء بعض الوقت بمفردها لن يضرها أبداً!

وتابعت تقول: «اصعدي إلى غرفتك، وخذي حماماً ساخناً قبل الذهاب إلى الفراش. سأكون سعيدة بالعمل هنا».

عانقتها مولي، وقالت: «أنا أعشقك. من الجيد فعلاً أن أراك كريس!».

ثم أبقت ذراعيها فوق ذراعي كريس وهي تتابع: «أعلم أننا نتحدث عبر الهاتف بشكل دائم، لكننا لم نلتقِ هكذا منذ وقت طويل».

فعلا، هذا صحيح! فكل واحدة منهما منشغلة ببرنامج عملها الممتلىء. مولي لديها عمل في الولايات المتحدة، وكريس مشغولة بمطعمها وبرنامجها التلفزيوني. لكن بعد الحديث الذي تمت مقاطعته بينهما باكراً، بدأت كريس تعتقد أن عملهما هو مجرد حجة كي لا تجتمعا مجدداً.

تمنت كريس بشدة ألاّ يكون ذلك صحيحاً. فمن السيء جداً أن

تكتشف أن مولي كانت مغرمة بجايمس، فبذلك تكون قد خسرته مرتين. مرة حين أخذته امرأة أخرى، ومرة ثانية حين أخذه الموت البارد.

شدت كريس على ذراعي مولي بقوة وابتسمت وهي تقول مشجعة: «سيكون لدينا متسع من الوقت غداً للتكلم».

تراجعت مولي إلى الوراء وهي تتثاءب من جديد، وقالت: «هم... هذا إن تمكنت من الاستيقاظ من جديد في الصباح. ألديكما أنت وسام مشاريع للغد؟».

هل لديهما مشاريع؟ لم يعجب كريس أن تضعها مولي مع سام في فريق واحد!

قالت بخفة: «بالطبع لا، أيتها السخيفة! كنا ننتظر وصولك غداً».

وحتى إن لم يكونا بانتظار وصولها، علمت كريس أنها كانت لتفعل أي شيء كي تتجنب قضاء المزيد من الوقت مع سام. غداً أو في أي وقت آخر.

هزت مولي رأسها وقالت: «حسناً! أراك غداً إذاً».

وابتسمت وهي تغادر الغرفة.

افترضت كريس أن مولي تعرف تماماً في أي غرفة ستنام. وإن لم تفعل، فليس من شأن كريس أن تتدخل في ذلك. لكنها علمت أمراً واحداً: مولي لن تنام في الغرفة ذات السرير الكبير التي هيأها سام لرجل يدعى كريس!

سام... ما الذي ستفعله بشأنه يا ترى؟ ربما يمكنها أن تتظاهر كأن شيئاً لم يحدث اليوم. لكن بعد ما قاله لها سام سابقاً، ساورها شعور أن التظاهر بذلك لن يكون سهلاً فعلاً.

إنه فعلاً تصرف سخيف منه، في ظل هذه الظروف. ستبقى هنا لبضعة أيام فقط، فقد وعدت مدير مطعمها أنها ستصل إلى المدينة في نهاية الأسبوع، أي بعد خمسة أيام. هل ستتمكن من تحمل البقاء هنا مع سام طيلة هذه الأيام؟ في أي حال إنها تعلم أمراً واحداً: لا مستقبل لأي

علاقة بينها وبين سام، فهي منشغلة بحياتها في لندن وسام بحياته هنا. وهناك كارولين أيضاً...

مهما حاولت كريس أن تنكر الأمر، فقد استمتعت بتلك اللحظات بين ذراعي سام... شعرت بالفعل أنها تعيش من جديد لأوّل مرة منذ شهور... منذ وفاة جايمس في الواقع. هل هو انجذاب جسدي؟

لا يمكنها القول إن هذا أمر شعرت به من قبل من دون الوقوع في الحب. لكن لكل شيء مرة أولى، فهي بالتأكيد ليست واقعة في حب سام!

إنه ليس بغيضاً فقط، بل متعجرفاً وقاسياً. يهزأ بالجميع، وهو لا يحتمل أبداً... في الواقع، من الصعب عليها إيجاد صفة حسنة واحدة لديه.

إنه طيب مع الحيوانات ومع الأرامل أحياناً. إذ لا شك بعطفه الكبير حيال الكلب الذي مات واضطر لدفنه، وكذلك في حب ميرلن الكبير له. ولا يمكنها أن تنكر أيضاً تعاطف سام معها، بطريقته الخاصة عندما أخبرته أنها أرملة جايمس.

حسناً! تقبلّب كريس الفكرة بأنه طيب مع الحيوانات والأرامل.

هو يهتم لأمر مولي أيضاً، تماماً مثلما تهتم مولي لأمره.

أدركت كريس أنها تحاول قلب أفكارها الآن. قالت لنفسها بحزم إنها وسام كالليل والنهار لا يلتقيان، وإن عليها وضع نهاية لهذا...

- اعتقدت أنني سأجدك هنا.

قال سام ذلك من خلفها. أجفلت كريس بسبب المفاجأة، وكادت تفلت صحناً من يدها كانت قد رفعته عن الطاولة.

نصحها قائلاً: «عليك القيام بشيء للتخفيف من توترك».

التمعت عينا كريس الرماديتان بقوة حين استدارت لتواجهه بحزم: «شيء... مثل ماذا؟».

فهمت من كلامه أنه يعتبرها جبانة متوترة، وأدركت أن هذا الرجل هو فقط من يجعلها تشعر بذلك.

هزّ كتفيه العريضتين وقال: «لا فكرة لدي. لكن إن كنت توقعين الصحون في كل مكان، فأنا أستغرب كيف تنجزين عملك في المطعم».

حملت الصحن بقوة في يدها، وقالت: «لكنني لم أوقعه. وعملي يسير على ما يرام».

هزّ سام كتفيه من جديد، وقال: «إنه مجرد افتراض».

ليذهب افتراضه إلى الجحيم! لقد أتى خلفها باحثاً عن العراك. حسناً، بمزاجها الحالي سيحصل فعلاً ما يريد! تشوشها جعلها غير قادرة على تحديد مشاعرها تجاه هذا الرجل!

قالت له بهدوء: «سأتذكر كلامك».

مشى سام ليقترب منها أكثر ونظراته الباردة تراقبها بشكل قاتل. وقال أخيراً: «إذاً، أنت كريستال جايمس».

آه... لقد سمع بها من قبل! إذاً لِمَ بدا كأن لا فكرة لديه عنها حين تكلمت مولي...؟

شرح لها قائلاً: «ذهبت إلى المكتبة ورأيت الكتاب الذي أهدتني إياه مولي السنة الماضية. صورتك سيئة على الغلاف الخلفي».

قبلت كريس كلامه شاكرة وقالت: «شكراً لك».

أصبحت كل عضلة في جسمها متوترة الآن. بدا لها سام هادئاً مقارنة بالطريقة التي خرج فيها من المطبخ منذ دقائق. بدا ودوداً إلى حد ما، لكن نظرة التحدي في عينيه بدت واضحة أيضاً.

هزّ سام رأسه مفكراً، فيما نظراته ما تزال قاتلة: «همم... لا تزالين يافعة جداً لتحصلي على هذه السمعة!».

- أعتقد أنك تقصد الشهرة.

مازحها قائلاً: «حقاً؟ همم... ربما. في مطلق الأحوال أنت لا تزالين يافعة».

علّقت على كلامه بحدة قائلة: «لكنني راشدة كفاية لأحصل على شهادة جامعية قبل أن أذهب إلى باريس لأتابع دراستي تحت إشراف طاهٍ

من أشهر الطهاة. وأنا راشدة كفاية كي أشق طريقي في مطاعم كثيرة في لندن قبل أن أفتح مطعمي الخاص».

ثم أضافت وهي تدرك أن ما ستقوله سيشكل صدمة لديه لجرأتها: «وأنا راشدة كفاية أيضاً كي أتزوج وأصبح أرملة».

لكن سام يستحق إجابتها الحادة، فهو من استفزها بالكلام.

قال سام: «ذلك بالإضافة إلى شهرتك في التلفزيون والكتب».

أخذت نفساً عميقاً وهي تحاول التحكم بأعصابها. لن تقوم بالشجار معه مهما حاول استدراجها. هذا ما قررته كريس بحزم.

- بعد أن فتحت مطعمي توالت جميع الأحداث الباقية. المهم هو أن تكون في المكان المناسب في الوقت المناسب، على ما أعتقد.

هي نفسها لا تزال مصدومة للسرعة التي شقت بها طريقها نحو البرامج التلفزيونية. وهي لا تشعر بالارتياح مطلقاً من الشهرة ومعرفة الناس لها حتى حين تقوم بالتسوق.

في لحظة كانت تدير مطعمها في لندن بهدوء، لكن بنجاح أيضاً، وفي لحظة أخرى أعجب منتج برامج بمطعمها واعتبره المكان المفضل لديه لتناول الطعام، فعرض عليها أن تقدم برنامجاً تلفزيونياً عن الطهو.

في البدء رفضت الفكرة، وأخبرته أنه اختار الشخص غير المناسب. قالت له إنها سعيدة في حياتها وكأنها تقول: «شكراً جزيلاً، لا».

لكنه رفض الاستسلام، وبعد أشهر من المفاوضات وافقت على تقديم برنامج واحد، أما الباقي فأصبح تاريخاً.

أجابها سام قائلاً: «بالفعل. لكنني لا أظن أن مظهرك لم يساعدك في ذلك».

- عفواً؟

تابع يقول: «أشك أن منتجاً تلفزيونياً سيهتم بتقديمك على الشاشة الصغيرة لو أنك بدينة أو في الأربعين من عمرك».

عضت كريس شفتيها لتمنع نفسها من الإجابة بلؤم، فهو لا يسهل

الأمر أبداً عليها!

- لم أعتبر يوماً أن لمظهري علاقة بنجاحي في البرامج التلفزيونية...

ضحك سام هازئاً وقال: «إذاً، أنت غبية! من حيث أقف الآن، أرى أن هناك علاقة كبيرة بين الأمرين».

من حيث يقف...! لن يظل واقفاً لفترة طويلة إذاً، لأن كريس تشعر برغبة بضربه على أنفه بقوة! ربما تكون قصيرة ونحيلة، لكنها متأكدة أنها تملك القوة الكافية لتوجه لكمة إلى هذا الرجل وتوقعه أرضاً.

في الواقع، سيشعرها ذلك بالرضى!

قال سام: «ما كنت لأفعل ذلك لو كنت مكانك».

- آسفة... لم أفهم؟

- ستشعرين بالأسف فعلاً لو أقدمت على تنفيذ التهديد الذي يظهر في عينيك الرماديتين بضربي. تصبحين امرأة شرسة حين تستفزين، أليس كذلك؟

فكرت كريس بغضب أنها ستضيف صفة الاستفزاز إلى صفاته السيئة.

- بل شرسة جداً أيضاً!

صدمها كلامه المفاجىء.

قالت بحزم: «سام!».

جعلته نبرتها يصمت لفترة، وينظر نحوها بتساؤل. وحين استحوذت على انتباهه بالكامل، تابعت تقول: «اذهب إلى الجحيم!».

لدهشتها... بدأ سام يضحك... ضحك بسخرية وانقلبت تعابيره الصارمة إلى سحر صبياني مميّز... وهذا آخر ما أرادته كريس!

أرادت سام الغامض البعيد الذي تعرف كيف تتعامل معه. لكن سام ذا العينين الخضراوين الضاحكتين والتكشيرة الصبيانية، شخص يصعب على كريس التعامل معه بسهولة. في الواقع لم تتمكن كريس من التحرك حين اقترب منها، وطوقها بذراعيه ليعانقها عناقاً جديداً طويلاً...

حالما انتهى العناق، ووقف سام أمامها، قالت له بغضب: «لِمَ فعلت

هذا؟».

قال وهو لا يزال مكشراً: «لأنك أنت... أعتقد لأنك بسيطة وحساسة جداً، وتشعرينني برغبة كبيرة بمعانقتك».

ويبدو أنها تتجاوب دائماً معه، ولا ترفض معانقته! تباً لهذا الرجل! من يظن نفسه؟

إنه شقيق مولي الذي تعشقه بقوة، وكريس مجرد ضيفة في منزله، لكن ذلك لا يعطيه الحق كي يقوم بمعانقتها كلما شعر برغبة في ذلك!

قالت بحزم: «لا تفعل ذلك مجدداً».

سألها والابتسامة لا تزال ظاهرة على فمه الأنيق: «وإلاّ؟».

إنه يملك ابتسامة يصعب على كريس مقاومتها.

- وإلاّ... أنا أفضل ألاّ أزعج مولي بالشرح لها أن أخاها استغل وجودي هنا، وأن علي قطع زيارتي لذلك السبب، لكن...

أنهى الجملة عنها وقال: «لكن إن اضطررت فإنك ستفعلين».

ثم كرّر قولها: «أستغل وجودك... يا لهذا التعبير القديم الطراز!».

التقت نظرات كريس بنظراته فأجفلت: «أنا امرأة قديمة الطراز أيضاً».

ضاقت عيناه وهو يراقبها، وقال: «وما معنى ذلك؟».

- أنا واثقة أن بإمكانك فهم ذلك بنفسك.

ظهرت تعابير السخرية على وجهه وهو يتحداها قائلاً: «أنا واثق أنه يمكنني ذلك».

مهما كانت الطريقة التي يفكر بها، والنساء اللواتي اعتاد التعامل معهن، لا تريد أن يعتبرها مرشحة لعلاقته الغرامية المقبلة.

- حسناً! والآن، إن كنت لا تمانع، أود تنظيف الصحون ثم الخلود إلى النوم.

- بمفردك؟

احمرّت وجنتاها بسبب الغضب والإحراج من موضوع الحديث،

وقالت: «بالتأكيد! اسمع سام، لا أعتقد أن بإمكاني توضيح هذا الأمر أكثر...».

قاطعها قائلاً: «لا! لقد كنت واضحة جداً حتى الآن».

سألته بانزعاج: «إذاً لِمَ لا أزال أرى مشكلة بيننا؟».

- لا مشكلة بيننا. إنْ كنت تستطيعين البقاء بعيدة عني، فأنا متأكد أنني سأفرض على نفسي القيام بالشيء نفسه».

- من بين كل...

حثها سام كي تكمل جملتها حين صمتت: «نعم؟».

تمتمت وهي تستدير لتبتعد عنه: «لا عليك...! من أجل مولي، أقترح أن نحاول على الأقل التصرف بتهذيب».

رفض طلبها قائلاً: «أعتقد أننا أصبحنا بعيدين جداً عن مرحلة التصرف بتهذيب، كريستال. في الواقع، لست واثقاً حتى إننا مرّرنا بها».

هي أيضاً لم تظن ذلك. شعرت أنها وسام قفزا من الشعور بأنهما شخصان غريبان عن بعضهما لتصبح العلاقة بينهما فجأة حميمة جداً. بدا الأمر مذهلاً لكريس بعد الأزمات العاطفية التي عانتها العام الفائت.

قالت بنبرة متثاقلة: «ربما لا. لكن أنا واثقة أننا سنتمكن من بذل بعض الجهد لفعل ذلك الآن، ولو من أجل مولي فقط!».

وافقها سام قائلاً: «أنا واثق أنه يمكننا المحاولة، لكن لا أؤكد لك أننا سننجح».

علمت كريس أن ذلك لن يكون سهلاً عليهما. فهي تشعر بكل حركة يقوم بها سام وتتفاعل مع كل كلمة يقولها. أما بالنسبة لسام...! بدا كأنه يستمتع برؤية ردات فعلها هذه!

- سآخذ ميرلن معي، وأصعد لأنام إذاً.

ثم مشى نحو باب المطبخ قبل أن يقف مجدداً ويقول: «آه، كريستال...!».

شعرت كريس بالتوتر، والتفتت نحوه بحذر: «نعم؟».

التوى فمه وهو يقول: «ربما وصلت إلى شهرتك لأنك كنت في المكان المناسب في الوقت المناسب، لكن في هذه اللحظة أنت في مكاني وفي زماني أنا، فإن اقتحمت ذرة من نجاحك وشهرتك خصوصية منزلي...».

أصبح صوته جليدياً وقاسياً وهو يكمل جملته: «عندها أنت ونجاحك ستخرجان مباشرة من الباب الأمامي. هل هذا واضح؟».

رفعت ذقنها بثقة، وقالت: «واضح كالكريستال!».

صمت سام قليلاً، ثم قال معلقاً: «لا شيء واضح في ما يخصك، فأنت غامضة جداً... آه، يا إلهي! تباً لأفكاري!».

مد يديه في الهواء قليلاً، ثم قال: «أنا ذاهب إلى غرفتي».

شعرت كريس بالارتياح لخروجه من المطبخ. على الأقل ستتمكن من التنفس قليلاً. حتى وإن كانت رجلاها لا تزالان ترتجفان بشدة لدرجة أنها اضطرت إلى الجلوس قليلاً كي تستعيد قوتها.

أغمضت عينيها بسأم. أيتهمها بأنها غامضة وهو الرجل المعقد إلى درجة لا يمكنها فهم المكان الذي يبدأ منه غموضه؟!

تمنت لو أنها لم تأتِ إلى هنا مطلقاً... ولو أنها لم تلتق بسام... ولم... حسناً! فقط تمنت لو أنها لم تلتقِ ذلك الرجل!

ستكون الأيام الخمسة المقبلة بمثابة اختبار لها... علمت كريس أن سام، برغم مما قاله الآن، لن يجعلها أياماً سهلة مطلقاً!

١٠ - هل يكرهها؟

- أتفهم أنها إحدى صديقاتك القديمات، مولي. لكن رغم ذلك، أنا لا أفهم لما قمت بدعوة شخص مماثل إلى هنا؟

كانت كريس في طريقها إلى الطابق السفلي عند آخر الدرج حين سمعت أصواتاً قادمة من غرفة الجلوس. رغم أن الساعة لم تتجاوز الثامنة بعد، يبدو أن مولي وسام سبقاها في النهوض، ونزلا قبلها.

أرادت ترك الأخوين يتكلمان بحرية لوحدهما، وكانت في طريقها نحو المطبخ. لكنها سمعت تعليق سام الأخير، فتجمدت في مكانها.

شخص مماثل؟! أيقصدها هي؟ تساءلت كريس عن ذلك وقد توقعت أنهما فعلاً يتكلمان عنها.

ردّ سام على تعليق مولي بصوتها الخفيف الذي لم يُسمع: «أخبرتني بذلك. أعلم أنه ليس أمراً سهلاً عليها أيضاً. لكن رغم ذلك، فكريستال جايمس هي آخر امرأة كان يجب عليك دعوتها إلى منزلي!».

قطبت كريس حاجبيها وهي تعبس بقسوة. ما الذي يقصده بالضبط بتعليقه هذا؟

أدركت كريس أنها ما زالت تقف في الردهة الخارجية، تتنصت إلى حديث خاص بين مولي وأخيها. لكنها لن تستطيع التحرك من مكانها الآن، فقد شعرت كأن قدميها التصقتا بالسجادة بقوة.

وافق سام على كلام مولي كجواب على تعليقها التالي فقال: «نعم، لا بد أن ذلك كان صعباً عليها جداً، لا سيّما بعد وفاة زوجها بفترة قصيرة. لكن الواقع لا يزال...».

أصبح صوت مولي مسموعاً الآن بسبب غضبها وهي تقول: «إنك لا تريدها هنا!».

أكد سام بقسوة قائلاً: «لا! لا أريدها».

ثم أضاف بعنف قائلاً: «وأنت أكثر شخص عليه معرفة السبب».

صُدمت كريس من العنف الذي رافق كلامه. حسناً! ربما تأرجحت علاقتها بسام بين الحماسة والفتور، لكنها لم تتصور مطلقاً أنه يكرهها.

أصبح صوت مولي عالياً بما يكفي ليُسمع بسهولة: «لقد مرّت عشر سنوات سام. ألم يحن الوقت بعد كي تتابع حياتك من جديد؟».

- تباً! لقد تابعت حياتي، لكن يبدو أن الآخرين لا يفعلون!

- أنت لا تعلم أن...

قاطعها سام بغضب قائلاً: «ولا أريد أن أعلم شيئاً من خلال صديقتك كريستال أيضاً!

- لِمَ تدعوها بهذا الاسم؟

كرر سام بنفاد صبر: «كريستال؟ لأن كريس هو اسم رجل».

وافقته مولي وهي تقول بذكاء: «أما اسم كريستال فهو أنثوي جداً! همم... فهمت».

سألها سام بانزعاج: «ماذا تقصدين بالضبط من كلامك؟».

- لا شيء. لكنها تعجبك أليس كذلك؟

- ما علاقة هذا بموضوعنا، بحق السماء؟ مولي، أنت تبتعدين عن النقطة المهمة...

أجابته بسرعة: «أحقاً؟ أنا لست واثقة من ذلك».

قال سام بحنق: «ماذا تعنين، مولي؟ أنا أحذرك. لا تبدأي بإيجاد روابط بيني وبين صديقتك! كريستال هي شخصية إعلامية معروفة، وتملك مطعماً في لندن، أما أنا...».

أنهت مولي جملته بجفاء: «... أنت ناسك منعزل، تعيش في غابات يوركشاير. لكن لم يكن الوضع على هذه الحال دائماً، أليس كذلك؟ ألا

تفتقد شيئاً من تلك الحياة سام؟ ألا تتمنى. . .؟».

- لا، أنا لا أفعل! لا أفتقد شيئاً من تلك الحياة المصطنعة. . . لا الأشخاص ولا الأماكن. . . لا شيء. ألست واضحاً كفاية في ذلك؟».

- كالكريستال!

أجابها سام بسخط: «أرجوكِ، لا تبدأي من جديد!».

بدت مولي مشوشة: «ماذا قلت؟».

أدركت ما قالته، فبدا في صوتها بعض التسلية وهي تقول: «آه، كريستال!».

إنها ما زالت تقف في الردهة، تسترق السمع. وهي متأكدة أن سام ومولي يفضلان ألا يسمع أحد حديثهما هذا.

هيا تحركي. . . قبل أن يخرج أحدهما من غرفة الجلوس، ويجدك واقفة هنا. عندها سيكتشفان أنك تسترقين السمع.

تابع سام يعاتب مولي: «هناك أمر آخر؛ يبدو أن كريستال تعتقد أنني شقيقك!».

كانت كريس على وشك إكمال طريقها نحو المطبخ، لكن كلمات سام سمرتها في مكانها من جديد.

لكن سام هو شقيق مولي، أليس كذلك؟

لم تنتظر لتسمع جواب مولي، وقررت أنها سمعت ما فيه الكفاية بل أكثر من الكفاية!

وقف ميرلن حين دخلت كريس إلى المطبخ، لكنها بدت متوترة جداً فلم تهتم لكونه يعاملها بلطف اليوم. إلاّ أنها راحت تمرر يدها فوق فروة رأسه بصورة تلقائية وهي شاردة الذهن تماماً.

يا للمذهول! يبدو بوضوح من جملة سام الأخيرة أنه ليس شقيق مولي فعلاً. لكن إن لم يكن شقيق صديقتها، فمن يكون إذاً؟

تذكرت كريس أنها نادته سيد بارتون حين وصلت، وجعله ذلك يطلب منها بإصرار أن تناديه سام. هل لأن عائلته الحقيقية ليست

بارتون، كعائلة مولي؟ لكن إن لم يكن اسم عائلته بارتون فما اسم عائلته إذاً؟

سكبت لنفسها فنجاناً من القهوة قبل أن تجلس خلف طاولة المطبخ. بدت مصدومة جداً بما سمعته للتو!

لطالما تكلمت مولي عن سام على أنه شقيقها. . . تكلمت عنه بحماس وهما لا تزالان في المدرسة معاً. بدا من الواضح أنها تعتبره بطلها ومثالها الأعلى، ومن الواضح أنها لا تزال كذلك. . .

لكنها ليست أخته، أليس كذلك؟ ذكرت مولي أمراً عن مرور عشر سنوات. . . عشر سنوات على ماذا؟ منذ عشر سنوات ظهرت مولي في مدرسة كريس. . .

هزت كريس رأسها، إن ذلك مربك حقاً! إنها. . .

قالت مولي بمرح وهي تدخل المطبخ: «آه، ها أنت هنا!».

بدت غير متأثرة بسفرها المرهق بالأمس، بل بدت مشرقة وجميلة. ارتدت كنزة ذات لون أزرق سماوي وبنطلوناً أسود. تابعت تقول: «كنا أنا وسام نتساءل إن كنت ستستيقظين في الوقت المحدد لنترافق معاً في النزهة الصباحية».

ابتسمت بدفء وهي تسكب لنفسها فنجان قهوة وتجلس خلف الطاولة مع كريس.

نظرت كريس نحو صديقتها وهي تعبس. لم يبد على مولي الانزعاج من حديثها مع أخيها. . . بل مع سام. . . صححت كريس لنفسها.

أما كريس فحين تنهي حديثاً مع سام تشعر كأنها خارجة من حرب ضروس.

نظرت مولي نحوها باهتمام وقالت: «هل نمت جيداً الليلة؟ تبدين شاحبة قليلاً!».

بدت أفكار كريس مشوشة. لم تعد تملك أي فكرة عن علاقة مولي بسام. والأسوأ من ذلك أنه أخبر مولي ببساطة ووضوح أنه ليس راضياً

عن وجود كريس هنا.

في ظل هذه الظروف، استنتجت كريس أنها هي نفسها لم تعد راغبة في البقاء هنا.

في الأحوال العادية كانت كريس لتسأل مولي ببساطة أن تعطيها تفسيراً عن علاقتها بسام. في الماضي هذا بالضبط ما كانت لتفعله. لكن بعد حديث ليلة أمس الذي لم ينتهِ عن جايمس، والذي ما زال معلقاً بين الصديقتين، لم تشعر كريس برغبة بالمزيد من التشويش في أفكارها، أو بكشف حقائق جديدة عن علاقة مولي بسام.

- نعم، نمت جيداً، شكراً.

ثم تابعت: «أتمانعين إن لم أرافقكما في النزهة؟».

ابتسمت بخفة وهي تحاول تلطيف رفضها للدعوة: «عليّ إجراء بعض الاتصالات».

وأشارت نحو هاتفها الخلوي أمامها.

احتجت مولي عليها قائلة: «كريس، انسي العمل لفترة! وعدتني ألا تفكري بالعمل لمدة أسبوع كامل!».

ابتسمت كريس بتكلف وهي تقول: «لا يمكنني إلاّ أن أفكر بالعمل مولي، تعرفين ذلك».

تنهدت صديقتها وقالت: «أعتقد ذلك! لكن، ألا يمكن للاتصالات أن تنتظر قليلاً على الأقل؟».

يمكنها ذلك! فكرت كريس. لكنها أرادت قضاء بعض الوقت بمفردها، بعيداً عن سام ومولي كي تفكّر بوضوح. ربما تخرج للتنزه بمفردها حين يغادرا.

قالت بحزم: «لا! أنا فعلاً بحاجة للاتصال بجيري».

وجيري هو مدير مطعمها. أضافت بذكاء: «بالإضافة إلى أنك تحتاجين إلى قضاء بعض الوقت بمفردك مع سام».

كشرت صديقتها وقالت: «القليل من الوقت مع سام كافٍ،

صدقيني».

أدركت كريس ذلك! لكنها لم تملك النيّة للخروج معهما صباحاً. إنها ببساطة لن تعرف بما ستحدثهما أو عمّا ستتكلم. بالإضافة إلى أنها شعرت بعدم الارتياح لبقائها هنا بعدما سمعت سام يعبر عن استيائه لوجودها!

طمأنت كريس مولي قائلة: «ستمضيان وقتاً جيداً بالتكلم عن أخباركما الجديدة».

ربمنا يخبر سام مولي عن كارولين التي اتصلت به منذ يومين.

- أنا...

قال سام وهو يدخل بقوة عبر باب المطبخ: «ألم تجهزا بعد؟».

كان يرتدي بنطلوناً وكنزة من اللون الأسود، وقد حلق ذقنه.

بادرته كريس قائلة: «صباح الخير، سام».

ربما لا يريدها هنا، لكن التصرف المهذب لن يضرّه!

ردّ عليها وعيناه الخضراوان تظهران انزعاجه: «صباح الخير».

وقفت مولي سريعاً وقالت: «سأذهب لأنتعل حذائي الرياضي فقط».

- أسرعي، إذاً!

رغم أن كريس سمعت سام يعترف بأنهما ليسا شقيقين إلاّ أنها حاولت النظر نحوهما لملاحظة وجه شبه بينهما كأخ وأخته...

بدا شعر مولي أحمر بينما شعر سام أسود، عينا مولي بنيتان أما عينا سام فخضراوان. لم ترَ كريس أي شبه في تقاسيم وجهيهما. لكنها تذكرت أنها شعرت بأن وجه سام مألوف لديها حين رأته للمرة الأولى عندما حلق ذقنه. افترضت حينها أن السبب هو شبهه بصديقتها مولي. لكن من الواضح أنه... من تراه يكون؟

هزت رأسها وهي متأكدة أنها لن تجد الجواب إلاّ إن اختار سام أن يجيبها. وهي تعلم جيداً أنه لن يفعل. إنه...

تحدّاها سام قائلاً: «بماذا تحدقين؟».

به! من دون أن تدرك ذلك، تابعت كريس التحديق بسام لفترة طويلة بعد خروج مولي من الغرفة. حدقت به وهي في الواقع لا تراه بل كانت ببساطة شاردة الذهن.

تمتمت وهي تنظر بعيداً: «عفواً».

عبس وهو يدرك أنها لم تتحرك لتتعل حذاءها: «ألن تخرجي برفقتنا؟».

- فكرت أن أبقى في المنزل.

ثم أضافت بسرعة: «إن كنت لا تمانع طبعاً؟».

خطر ببالها فجأة أنه ربما ينزعج لفكرة بقائها بمفردها في منزله الخاص.

هزّ كتفيه وهو يلبس سترته التي كانت خلف باب المطبخ، وقال: «افعلي ما يناسبك».

رمقته كريس بنظرات تقييمية وهي تقول: «أنت فعلاً تكره وجود الناس حولك، أليس كذلك؟».

ضاقت عيناه وهو يجيب: «ما معنى كلامك هذا؟».

هزت رأسها وتنهدت قائلة: «لا شيء».

ثم أكدت على سؤالها مجدداً: «أتمانع إن بقيت بمفردي في منزلك؟».

راح يراقبها بعينيه الخضراوين وهو يجيب: «قلت لك افعلي ما يناسبك. هل نمت جيداً؟ لأنك تبدين...».

أنهت الجملة عنه وقالت: «... أبدو شاحبة. أخبرتني مولي بذلك أيضاً».

- حسناً!

أجابته قائلة: «نعم، لقد نمت جيداً. أنا فقط... ألا تظن أنني أيضاً أفضل رفقة نفسي على رفقة الآخرين أحياناً؟».

لا شك في ذلك! فهي بالتأكيد شعرت بالانزعاج بعد تلك المحادثة التي سمعتها بين مولي وسام.

رفع سام حاجبيه بسخرية وهو يقول: «وهذا الصباح هو أحد الأوقات التي تريدين فيها البقاء بمفردك، أليس كذلك؟ لكن مما سمعته الآن، فأنت تمضين أوقاتاً كثيرة بمفردك دائماً».

احمرت وجنتاها من الارتباك. وقالت بحزم وهي تعلم أنها كانت معزولة عن الآخرين تقريباً طيلة السنة الماضية: «ربما...!».

على الأقل حاولت الانعزال بقدر ما تستطيع، فقد بقي عليها الاهتمام بالمطعم وتقديم البرامج التلفزيونية!

تحمس سام للموضوع كثيراً وقال: «ألا تعتقدين أن تصرفك هذا فيه شيء من الجحود؟ أتت مولي من نيويورك خصيصاً لكي تراك».

- ولتراك أنت أيضاً.

وافقها قائلاً: «نعم... ولتراني. هل أنت متأكدة أن ليس هناك أي خطب؟».

أصبحت نظراته حادة، وكأن فكرة جديدة قد خطرت في باله. سألها وقد ساورته الشكوك: «هل نزلت إلى هنا منذ فترة طويلة؟».

وقفت كريس وتحركت نحو المغسلة كي تنظف كوبها وتتجنب النظر في عينيه، وقالت: «لا، ليس منذ فترة طويلة».

لكنها طويلة بما يكفي لتعلم كم يشعر بالانزعاج لوجودها هنا. ولكي تراودها الشكوك حول علاقته بمولي. أو بكارولين... لكي تفكّر بالأوقات التي عانقها فيها. طويلة بما يكفي لتعرف أنها تود مغادرة هذا المكان في الحال!

أمسك سام بذراعها بلطف، وأدارها كي تواجهه. رمقها بنظرات حادة لثوانٍ طويلة، وقال: «يقولون إن من يسترق السمع يسمع أشياء غير سارة عن نفسه!».

رفعت ذقنها، وأزاحت شعرها الحريري إلى الخلف، ورفعت كتفيها تلقائياً. بإمكانها أن تنكر استراقها السمع، لكن إن فعلت ستكون كاذبة. بالإضافة إلى ذلك، شعرت أن سام سيكتشف أنها تكذب.

- أهذا ما يقال حقاً؟ أنا شخصياً، تعلمت أنه من السيء التكلم عن الآخرين في غيابهم بأمور لا نستطيع قولها في وجههم.

وافقها قائلاً: «أنا أيضاً تعلمت ذلك. لم نكن نتكلم عنك كريستال بل... بل عن الحالة».

- إنها المرة الأولى التي يدعوني فيها أحدهم حالة.

- كريستال...

قاطعته بحزم قائلة: «ها هي مولي تنزل الدرج الآن».

بدا كأنه على وشك أن يقول تباً لمولي! لكنه سيطر على نفسه، وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يترك ذراع كريس بسرعة.

- سنتكلم لاحقاً كريس.

مولي أرادت التكلم معها غداً. وسام يريد التكلم معها لاحقاً. لكنها ليست واثقة أنها تريد التكلم مع أي منهما!

ربما هذا غير منصف لمولي. فبرغم كل شيء، صديقتها لم تقم بأي عمل سيء... بل دافعت عنها حين صرّح سام بوضوح أنه لا يريدها في منزله. لكن كريس شعرت بالانزعاج، ولم تعد تريد سوى العودة إلى لندن. أرادت أن تنسى فعلاً هذه الزيارة... وسام!

كرر سام بحدة وحزم: «يجب علينا أن نتكلم لاحقاً، كريستال!».

- أحقاً؟

قالت ذلك، والتفتت سريعاً كي تبتسم لمولي حالما دخلت إلى المطبخ. ثم وعدتها قائلة: «سأعد شيئاً للغداء في غيابكما».

وافقت مولي بحماس: «هذا رائع!».

ثم استدارت نحو سام ورمقته بنظرات ساخرة، وقالت: «فسام يفضل ما تعدينه أنت على ما أعده له أنا!».

لم تنظر كريس نحو سام مطلقاً، لكنها افترضت أنه بالتأكيد لم يسرّ لكلام مولي الساخر. الأمر الوحيد الذي كانت كريس متأكدة منه هو أن صديقتها ليست على علم مطلقاً بمزاج سام السيء.

- أراكما لاحقاً إذاً.

قالت مولي وهي تخرج من الباب الخلفي: «استمتعي بوقتك».

تبعها ميرلن بحماس.

التفتت كريس لتنظر نحو سام بهدوء مصطنع لم تكن تشعر به مطلقاً بداخلها. ورفعت حاجبيها الشقراوين بتساؤل.

حدّق بدوره بها لثوان طويلة قبل أن يستدير ليخرج.

قال لها وهو ينظر نحوها من فوق كتفه: «لا تجهدي نفسك بالعمل!».

- سأحاول ذلك!

ظهرت ابتسامة غير مرحة على وجهه بينما سار نحو الباب وقال: «أعتقد أنني أعجبت بتصرفاتك أكثر حين كنت تعتبرينني مجرماً».

- ما الذي يجعلك تظن أنني غيرت رأيي بك؟

استدار نحوها من جديد، وأضاءت وجهه ابتسامة عريضة. أجابها قائلاً: «لأنني أشك أن تعانقي رجلاً كما عانقتني بالأمس وأنت تعتقدين أنه مجرم!».

أطلق قنبلته هذه، ثم مشى خارجاً من الباب، وأغلقه خلفه بهدوء.

فكرت كريس بغضب أن الكلمة الأخيرة تكون له دوماً! أكدت لنفسها ذلك بشدة وهي تسمع صوت محرّك سيارته يدور. بدأ التوتر يخف تدريجياً حين أدركت أنها تملك في غياب سام ومولي ساعتين من الوقت كي تحاول نسيان كلام سام الساخر.

لا شك أنه محق في كلامه! لقد تجاوبت بالأمس مع عناقه بالفعل. وصول مولي المفاجيء هو السبب الوحيد الذي منعها من متابعة ذلك العناق.

كشرت كريس بألم لمجرد التفكير بالأمر. يا إلهي! عليها أن تشغل تفكيرها بشيء آخر. عليها أن تطهو بعض الطعام بدلاً من التفكير بالأمر، فالطهو يساعدها دوماً على الاسترخاء، ويحرر رأسها من القلق والهموم. وهي الآن فعلاً بحاجة إلى الاسترخاء والتخلص من القلق!

بحثت في رفوف المطبخ وفي الثلاجة عن مكونات بعض الوصفات، فوجدت ما يناسبها لتقوم بتحضير سلطة الجبن مع البروكولي، كما وجدت البطاطا لتحضير الطبق الرئيسي. شغلت كريس نفسها بتحضير الأطباق بفرح، إلى أن بدأ جرس الهاتف يرن.

استمعت للرنين جيداً وبدأت تعدّ... واحد اثنان ثلاثة... حتى أصبحت الرنات اثنتي عشرة رنة. ثم توقف الرنين، ليعود الهاتف ويرن مجدداً بعد ثوانٍ.

إذاً... إنه أحد أفراد العائلة أو صديق ما. من الجيد معرفة ذلك. لكن كريس شكت أن يرغب سام بأن ترد على مكالماته الهاتفية. في الواقع إنها متأكدة أنه لن يفعل!

لكن الرنين عاد اثنتي عشرة مرة من جديد. وحين بدأ الرنين للمرة الثالثة علمت كريس أنه اتصال ملح، لأن المتصل مصر جداً على تلقي الجواب. عليها أن تجيب... إن أعجب ذلك سام أم لا!

غسلت يديها ثم ذهبت كي تجيب، إلاّ أن المتصل أقفل الخط قبل أن تتمكن من الإجابة. لكن الهاتف عاد يرن للمرة الرابعة، عندها رفعت كريس السماعة وقالت: «نعم؟».

أجابها صوت نسائي بتردد: «سام...؟».

كشرت كريس... إن صوتها بالتأكيد لا يشبه صوت سام مطلقاً!

- أخشى أنه ليس هنا في الوقت الحاضر. هل تودين ترك رسالة له؟

بالتأكيد لن يزعج سام إن أخذت رسالة هاتفية له، أليس كذلك؟ بالتأكيد سيفعل! لكنها تأخرت في القلق بشأن ذلك الآن، فقد قامت بالرد على الاتصال وانتهى الموضوع!

ما زالت المرأة مترددة، إلا أنها قالت: «هل أنت مولي؟».

تنهدت كريس بسبب الموقف الذي زجت نفسها فيه، وأجابت: «آه...! لا... لست مولي... أنا... أنا صديقة فقط. صديقة للعائلة».

بالتأكيد، سام لا يعتبرها صديقة أبداً!

تابعت تقول: «إن سام ومولي ليسا هنا الآن».

أجابت المرأة ببطء: «آه! فهمت».

لكن يبدو أنها لم تفهم شيئاً، إذ تابعت تقول: «حسناً، أنا سالي غراينغر، وكيلة أعمال سام. أبإمكانك أن تقولي له كي يتصل بي حالما يعود إلى المنزل؟ قولي له... قولي له إن...».

قالت كريس بسرعة: «ربما من الأفضل أن تنتظري حتى يعود ويتصل بك».

ما كان عليها أن ترد على هذه المكالمة!

لكن المرأة قالت لها: «فقط قولي له إن دايفيد سترونغ كسر رجله. لذا فنحن نواجه مشكلة صغيرة، إذ لن يقوم بطل بايلي بالتحرك وقدمه مجبرة».

بايلي؟ علمت كريس أن هذا اسم سلسلة تلفزيونية شهيرة. ربما هي لا تملك تلفزيوناً، ولم تشاهد التلفزيون مؤخراً إلا قليلاً، لكنها بالتأكيد لم تكن تعيش في كهف معزول عن العالم كي لا تسمع خلال السنوات الماضية بذلك المسلسل الطويل بايلي. علمت أن اسم البطل الذي يجسد دور المحقق بايلي الحقيقي هو دايفيد سترونغ. علمت كريس أيضاً أن هذا المسلسل صنف من أكثر البرامج شعبية منذ انطلاقه.

لكن ما علاقة سام بذلك المسلسل الشهير؟

شرحت سالي غراينغر لها قائلة: «أخبري سام أن المخرج يريد منه أن يكتب شرحاً منطقياً للسبب الذي جعل بايلي يضمد قدمه».

ثم أضافت بانزعاج: «إنهم يظنون الأمر بهذه السهولة!».

أجابتها كريس بوهن: «سأخبره بذلك».

قالت المرأة: «شكراً».

ثم كررت لها مجدداً: «قولي لسام عليه أن يتصل بي حالما يأتي إلى المنزل».

أعادت كريس السماعة إلى مكانها ببطء، وعلمت أنها لم تعد شاحبة فحسب، بل لا بد أن لونها قد أصبح أبيض كلون الأموات.

وينغارد!

ليس بارتون أبداً كما أدركت كريس! بعد مكالمتها مع سالي غراينغر علمت كريس أن اسم سام الكامل هو سام وينغارد.

إنه كاتب سيناريو السلسلة التلفزيونية الناجحة بايلي، التي تعرض منذ خمس سنوات.

إنه أحد الفائزين بجائزة الأوسكار منذ أحد عشر عاماً عن سيناريو الفيلم الضخم «سباق مع الزمن».

حين أدركت كريس من هو سام فعلاً، فهمت تماماً لما اختار دفن نفسه هنا في السنوات العشر الأخيرة...

١١ - أسئلة حائرة...

- همم... يا لها من رائحة شهية!

قالت مولي ذلك بعد مرور ساعتين، حين دخلت إلى المطبخ. بدت وجنتاها متوردتين بسبب الهواء المنعش في الخارج.

ابتسمت لها كريس وهي تتمنى أن تبدو ابتسامتها طبيعية.

- سيجهز الغداء في غضون عشرين دقيقة تقريباً.

سألتها بشكل تلقائي وقد لاحظت أن سام لم يأتِ خلف مولي إلى المطبخ: «أين سام؟».

التفتت مولي إلى الخارج بينما خلعت وشاحها وقفازيها، ثم شرحت لها قائلة: «قال شيئاً عن تغيير زيت السيارة أو ما شابه».

بدأت كريس تعد الطاولة لثلاثة أشخاص فسألتها مولي: «بِمَ يمكنني مساعدتك؟».

- يمكنك إكمال إعداد الطاولة بينما أنتهي من تحضير السلطة.

ثم استدارت مبتعدة وهي تقول: «آه... ! أخشى أن عليّ العودة إلى لندن اليوم، إذ هناك ضغط كبير في العمل خلال الليالي الثلاثة الآتية. ويرى جيري أن طاقم المطعم لن يكفي».

قالت كريس ذلك وتوجهت نحو الثلاجة مدعية أنها تبحث عن الخضار لصنع السلطة. لم تكن واثقة أنها ستبدو مقنعة وهي تتفوه بالأكاذيب.

قالت مولي بخيبة أمل بدت واضحة جداً في صوتها: «آه، لا!».

شعرت كريس بالذنب قليلاً بسبب ردة فعل صديقتها. لكن بعد

الحديث الذي سمعته في الصباح وإجابتها على المكالمة الهاتفية منذ قليل، علمت أنها لن تستطيع البقاء لمدة أطول في هذا المنزل.

شعرت بالرعب لأنه يتوجب عليها إخبار سام بأنها ردّت على الهاتف في غيابه. علمت أنه ذكي بما يكفي كي يستنتج أنها عرفت حقيقته التي يخفيها. بعد ذلك أصبحت تشكك أنها ستتمكن حتى من تناول الغداء برفقته الآن.

تذمرت مولي قائلة: «هل عليك الذهاب حقاً؟ لقد وصلت للتو».

- أعلم ذلك. وأنا آسفة جداً... أنا فعلاً آسفة.

إنها آسفة بالتأكيد، فهي لا تحاول تجنب البقاء مع مولي. تابعت: «أنا فعلاً آسفة مولي، لكن...».

قطعت كلامها حين فتح الباب، ودخل سام بهيئته المتعجرفة.

التفتت كريس بعيداً، وذهنها لا يزال مشغولاً باكتشافها الحديث عن شخصية سام الحقيقية.

سألها وهو ينظر نحو المرأتين بشك: «آسفة... على ماذا؟».

أخبرته مولي بخيبة أمل واضحة: «كريس مضطرة للمغادرة اليوم».

ثم تابعت تكلم كريس: «نصحتك ألاّ تتصلي بجيري».

عبس سام وهو يسأل: «من هو جيري؟».

أجابته كريس: «إنه مدير مطعمي».

تجنبت النظر نحوه، وهي ترفع صينية البطاطا من الفرن.

بدت نبرة سام ساخرة وهو يقول: «يبدو بوضوح أنه مدير فاشل، إذ ليس بإمكانه التصرف من دون وجودك لبضعة أيام».

استقامت كريس في وقفتها وقد احمر وجهها من السخط ولهيب الفرن معاً. ثم دافعت عن جيري قائلة: «إنه مدير ممتاز فعلاً. لكن طاقم العمل صغير هذا الأسبوع وهناك أعمال كثيرة في المطعم...».

قاطعها سام قائلاً: «أعمال كثيرة لدرجة تمنعك من أخذ بضعة أيام عطلة؟».

حدقت به عبر الغرفة متسائلة عن سبب انزعاجه لرحيلها على الرغم مما قاله عنها في الصباح. فأجابته: «نعم. هذا ما حدث».

هزّ رأسه وأجاب: «تبدو هذه مجرد حجة بالنسبة لي».

أمسك حبة بندورة وأخذ يأكلها كأنه يأكل تفاحة.

ردّدت كريس خلفه بسخط وهي لا تزال تواجه مشكلة في النظر في عينيه: «حجة؟».

- أكدت لي مولي أنك مدمنة على العمل كريستال. كما يبدو من غير المنطقي أن يعتمد المطعم على حضورك الدائم فيه.

توتر فمها وهي تجيب: «لدي مسؤولية...».

قاطعها وعيناه الخضراوان ترمقانها بانتقاد: «أنت تحتاجين إلى عطلة».

ربما هي بحاجة فعلاً إلى عطلة... لكنها لن تحظى بالراحة أبداً إن أمضت عطلتها هنا!

- سآخذ عطلة في وقت آخر من العام، حين أملك المزيد من الوقت.

- أحقاً؟

- اسمع...!

التفت سام نحو مولي ليبتسم لها ويقول مقاطعاً كلام كريس: «مولي، أتمانعين إن خرجت لإطعام ميرلن بدلاً مني؟».

ثم أضاف موضحاً: «طعامه في الخارج».

قبلت مولي بسرعة وتحركت نحو الباب قائلة: «لا، بالطبع. لكن أتسدي إلي خدمة في غيابي؟».

صمتت قليلاً وهي تبتسم، ثم تابعت: «حاول أن تتكلم مع كريس لتمنعها من المغادرة».

تمتم بهدوء حالما أصبح هو وكريس بمفردهما في المطبخ: «ظننت أن هذا ما أفعله الآن».

ثم قال بصعوبة: «ما الذي يحدث كريستال؟».

نظرت نحوه وتمنت لو أنها لم تفعل. إذ تذكرت كل ما قرأته عنه منذ

عشر سنوات. لم تكن تلك السنوات العشر جيدة له، ربما لهذا السبب لم يعاملها بلطف حين قابلها للمرة الأولى. الصور الفوتوغرافية القديمة له تظهر وسامة وجه ضاحك لرجل يشعر بأمان لا يقهر.

لكن ذلك الأمان بدأ ينهار فجأة في حياته...

- لا شيء! سبق وشرحت لك...

وقف بثبات ومشى عدة خطوات باتجاهها. شعرت كريس فجأة كأن المطبخ قد أصبح أصغر حجماً.

- اسمعي! أعلم أنك غير راضية بسبب الكلام الذي سمعتني أقوله في الصباح، لكن هذه وجهة نظري الشخصية. ستشعر مولي بالحزن إن اكتشفت أنك غادرت لهذا السبب.

مهما كانت الأحداث السيئة التي حلت بحياة هذا الرجل فهو فعلاً يهتم كثيراً لأمر مولي. لكن ما علاقته بها؟ هذا ما لم تستطع كريس فهمه حتى الآن، إلا أنها تقبلت تلك العاطفة التي تجمعه بمولي. في ظل هذه الظروف، ما كان ليسمح بحضور أصدقائها إلى هنا لو لم يكن يحبها كثيراً.

هزت كريس رأسها وقالت: «لن تكتشف مولي ذلك. ليس مني على الأقل».

أمسك سام بذراعيها، وهزها بهدوء: «كريس! أنا أحاول أن أقول... ويبدو أنني لا أنجح في هذا! إنني لا أريد أن تغادري بسببي».

نظرت نحوه بتفحص... إنه رجل صعب جداً! لكن، هل بإمكان رجلٍ ما أن يكون قاسياً لدرجة التحكم بحياة امرأة إلى هذه الدرجة؟

لا تعلم كريس ببساطة ما الذي بإمكانه فعله بالضبط!

لا يمكن للرجل الحنون العطوف الذي عانقها أن يفعل ذلك، لكن هذا الرجل القاسي الغامض... إنها ببساطة، لا تعلم!

- تباً! أجيبيني!

ابتلعت ريقها بصعوبة، وقالت: «أخبرتك أن هناك عمل كثير في المطعم...».

- هل تتوقعين مني أن أصدق هذا العذر الواهي لمغادرتك باكراً؟

أجابته كريس بحدة: «أنا لا أتوقع منك شيئاً. صحيح أن هذا منزلك أنت، لكن مولي هي من دعتني للمجيء. إن كنت أدين بالشرح لأحد ما فأنا أدين بذلك لها. وهي...».

قاطعها قائلاً: «إنها لا تصدقك أكثر مني أبداً! أهذه الدرجة لا تعني لك صداقتكما؟ هل من السهل عليك أن تجرحيها بمغادرتك فجأة؟».

- بالطبع تعني لي الكثير! لكن...

تحداها سام بقوة: «لكن ماذا؟ ألأنني عانقتك مرتين؟ أهذا ما يجعلك تصرين على المغادرة؟ لم تبدُ عليك الممانعة حين قمت بمعانقتك».

ازداد احمرار وجنتيها فجأة، ثم اختفى حين صعقتها الحقيقة التي قالها. لا... لم تمانع! وهذا سبب آخر يجعلها ترغب بالمغادرة، فهي تحتاج إلى الانفراد بنفسها لتقرر إن كان عناقه يعني شيئاً لها. لأنها شعرت بذلك...

رفعت كريس ذقنها وقالت لسام بحزم: «لا تحاول وضع الأمور في غير نصابها سام. نحن راشدان ولم نعانق أحداً منذ فترة...».

ثم تابعت: «... لكن ذلك لا يعني شيئاً سوى انجذاب جسدي مؤقت».

ردد وهو يجذبها نحوه: «أحقاً؟ أحقاً؟».

أصبح وجهه على بعد بضع سنتيمترات من وجهها فقط، وتابع يقول: «هل أبدو لك من النوع الذي يعانق كل النساء اللواتي يلتقي بهن كلما شعر برغبة في ذلك؟».

أجبرت كريس نفسها على تحاشي النظر مباشرة إلى عينيه اللاهبتين وأجابت: «لا أعرف... هل أنت كذلك؟».

- لا. تباً...! لست كذلك! في الواقع أنا لا أتذكر آخر مرة... لكن أنت... بدوت كأنك تصرخين كي أعانقك.

قالت ساخرة من إجابته: «يبدو هذا مجرد عذر بالنسبة إليّ».

تساءلت ما قصده بجملته التي لم يكملها. لا يتذكر آخر مرة... ماذا؟ آخر مرة عانق امرأة؟ لا، لا يمكنها تصديق ذلك. فهناك كارولين في حياته على الأقل. كما أن سالي غراينغر تصرفت كأنها تعرفه جيداً وهناك مولي...

- ليس عذراً، كريستال. وأنا لن أعتذر عن معانقتي لك.

نظرت نحوه متحدية: «وهل سألتك أن تعتذر؟».

تنهد وقال: «لا، لكن... أنا أدين لك باعتذار عمّا قلته في الصباح حول عدم رغبتي في بقائك هنا».

- ما كان يجدر بي أن أسترق السمع.

علا وجنتيها اللون الأحمر الناري حالما تذكرت تسمّرها مكانها في الصباح، وقد شعرت أن من المستحيل ألا تستمع إلى حديثه مع مولي.

سألها بنفاد صبر: «أبإمكانك أن تدعيني أنهي اعتذاري؟ قد يكون الاعتذار الوحيد الذي ستسمعينه مني في حياتك».

أصبحت تعلم أنه رجل لا يتراجع عن كلام يقوله، وشعرت بالدهشة لاعتذاره منها.

- هيا! تفضل! إن كان ذلك سيشعرك بحالٍ أفضل.

- أنا لا أفعل ذلك كي أشعر بحال أفضل.

أخذ نفساً عميقاً ليسيطر على نفسه وتابع: «هل سبق لأحدهم أن قال لك إنك امرأة تثير الحنق كثيراً، كريستال ويبر؟».

- لا، ليس في الفترة الأخيرة!

- حسناً! أنت كذلك.

أفلت ذراعيها والتفت بعيداً واضعاً يديه في جيبي بنطلونه، وتابع: «اسمعي كريستال... في الواقع، أنا لا أريدك أن تغادري».

- عفواً؟

لم تكن واثقة أنها سمعت كلامه بشكل صحيح. بالتأكيد لم يقل إنه...

استدار بحدة وحدق عبر الغرفة نحوها. وقال بصعوبة: «قلت إنني لا

أريدك أن ترحلي».

دخلت مولي إلى المطبخ من جديد مصطحبة معها ميرلن ونسمة من الهواء البارد. قالت بذكاء: «حسناً! هذا يجعل التصويت النهائي صوتين مقابل صوت واحد».

ثم أضافت وهي تنظر نحو سام وقد ظهرت تكشيرة على وجهها: «لكن لم يكن من الضروري قول ذلك بصوت مرتفع جداً سام. ليس من الضروري أن يسمعك سكان القريتين المجاورتين أيضاً».

رمقها سام بنظرات غاضبة ثم التفت نحو كريس يرمقها بنظرات الغضب نفسها، قبل أن يعلّق بانفعال: «يا للنساء!».

واستدار على عقبيه وخرج من الغرفة مغلقاً الباب خلفه بعنف.

ابتسمت مولي عندها وهي تقول: «يا للرجال!».

ثم قالت لكريس باهتمام: «عزيزتي... عزيزتي...! ما الذي فعلته بسام، كريس؟».

لم تفعل له شيئاً! إلاّ إن كان حدسها صحيحاً، وأن تلك المعانقات عنت لسام أكثر من انجذاب حسّي. مثلها تماماً...

مثلها؟ نعم، مثلها.

لا! إنها لا تهتم لأمر سام. أتهتم لأمره؟ الأمر أعمق من ذلك. أعمق بكثير من مجرّد...!

اقتربت مولي منها باهتمام قالت: «هيه...! هل أنت بخير كريس؟ تبدين شاحبة».

شاحبة! شاحبة! تفاجأت لأنها لم تقع أرضاً بعد إدراكها الصاعق لتلك المشاعر.

إنها مغرمة بسام وبنغارد!

أطلقت صوتاً من حنجرتها وهي تتحرك كي تجلس قبل أن يغمى عليها وتقع على الأرض. ما الذي فعلته؟ ما الذي فعلته؟

بدت مولي قلقة فعلاً الآن. ركعت على ركبتيها بجوار كريس.

أمسكت بيدي صديقتها بين يديها وقالت: «كريس! كريس، ماذا هناك؟».

هزت كريس رأسها وهي تحارب بيأس الدوار الذي أصابها فجأة، وقالت: «أتمانعين إن ذهبت إلى غرفتي واستلقيت لبعض الوقت؟ أنا... الغداء جاهز...».

قالت صديقتها بنفاد صبر: «لا تكترثي للغداء. أخبريني ما الخطب؟».

مولي هي صديقتها المقربة، لطالما استندت إليها كي تدعمها وتمنحها الثقة بنفسها... لكن كريس لن تناقش مشاعرها الحقيقية مع مولي إلاّ بعد أن تكتشف تماماً ما العلاقة التي تجمع بين مولي وسام.

اندفعت تقول: «أنا متعبة فقط... أنا واثقة أنني سأشعر بالارتياح أكثر إن استلقيت قليلاً».

في الواقع إنها غير واثقة من أي شيء... غير واثقة أبداً أنها ستصبح بخير من جديد!

وافقتها مولي وهي تقف: «حسناً! لكن أنا فعلاً أعتقد أن عليك التفكير مجدداً بأمر عودتك إلى لندن بعد الظهر. لا أعتقد حتى أن عليك العودة إلى العمل في وقت قريب».

بل هي أصبحت الآن تملك المزيد من الأسباب كي تغادر بعد الظهر! في الواقع لن يمنعها شيء من مغادرة هذا المكان بأسرع وقت ممكن!

أكدت كريس لصديقتها مجدداً وهي تقف: «سأكون بخير. أرجوك، احرصي على تناول الطعام الذي حضرته أنت و... سام».

ثم أضافت وهي تخرج من الباب: «أنت تعرفين كم أكره فضلات الطعام».

قالت لها مولي: «سأذهب إلى غرفتك لاحقاً لأطمئن عليك».

- حسناً!

تمنت كريس ألا تلتقي بسام وهي في طريقها إلى غرفتها. حالفها الحظ

في ذلك، إذ لم تلمح سام مطلقاً وهي تتجه مسرعة عبر الدرج لتصل إلى الطابق العلوي. وصلت إلى غرفتها لاهثة مقطوعة الأنفاس، وأغلقت الباب خلفها.

تدحرجت دموعها بسرعة فوق خديها. جايمس! آه جايمس! كيف أمكنها أن تغرم برجل لا يشبهه أبداً؟ رجل... هي ليست واثقة حتى أنه قد يحبه أو يوافق على أسلوبه؟ لكن الرجلان قد التقيا حين قام جايمس بتصميم ديكور المنزل، أليس كذلك؟ هل انسجم الرجلان مع بعضهما البعض في ذلك الوقت؟ تساءلت كريس.

إنها لا تريد أن تقع في الحب. لا تريد أن تغرم بأحد... لا سيما برجل مثل سام وينغارد.

أي نوع من الرجال هو سام؟ أثبت لها الرجل الذي تعرفت إليه الآن أنه عطوف ويهتم للآخرين حتى وإن حاول إخفاء ذلك وراء مظهره القاسي وغطرسته المصطنعة.

أما كل ما عرفته عن سام منذ عشر سنوات فهو ما قرأته في الصحف في ذلك الوقت. لم تكن تلك القراءات ممتعة. لكن إلى أي حد كانت حقيقية، يا ترى؟ فالأشخاص لا يتغيرون.

إذاً، إن كان سام عطوفاً ويهتم للآخرين الآن فهو بالتأكيد كان كذلك منذ عشر سنوات أيضاً.

ما الهدف من هذا التحليل الآن؟ سألت كريس نفسها. سام رجل يصعب لأي امرأة أن تصل إليه، فكيف بأن تقيم معه ارتباطاً دائماً، وأي نوع آخر من العلاقات هو غير مقبول بالنسبة لها...

فقدت كريس توازنها واتكأت على باب الغرفة قبل أن يفتح فجأة خلفها. التفتت بذعر لتجد سام واقفاً في مدخل الغرفة.

سألها بإلحاح: «ما خطبك؟».

حاولت المبالغة في وصف تأثير دخوله الغرفة بصورة مفاجئة كما فعل، فقالت: «حسناً! في هذا الوقت بالتحديد أنا أحاول لملمة شتات

نفسي كي لا أقع أرضاً!».

وجدت كريس من الصعب عليها أن تنظر في وجهه وهي متأكدة تماماً بأنها تحبه.

قال بعد أن دخل إلى الغرفة وأغلق الباب خلفه: «لا تراوغي، كريس. قالت مولي إنك لست بخير».

- مولي تبالغ...

- أعرف أن لدى مولي الكثير من الصفات السيئة، لكن المبالغة ليست واحدة منها. لذا، ما الخطب كريستال؟

حدّقت به بصمت. علمت أنها لن تستطيع الكلام حتى وإن حاولت. ما الذي يعقل أن تقوله حتى؟

لقد وقعت في حب هذا الرجل. وهي تخشى أن يقتلها الألم بسبب هذا الحب!

قطع سام الغرفة بسهولة وأمسك ذراعها بلطف، ثم أخذ يحدق في وجهها. قطب حاجبيه بقوة فظهرت عيناه الخضراوان أكثر سحراً. ثم قال بهدوء: «لن ينجح الأمر بيننا أبداً».

أكدت له قائلة: «لا».

تابع بلطف: «سيكون من الجنون حتى أن نتخيل ذلك».

- نعم.

- أنت تعيشين في لندن، وأنا لا نية لدي لترك يوركشاير.

- نعم.

- أنت أكثر النساء اللواتي حاولت تفادي لقاءهن في السنوات العشر الماضية.

من ذكرياتها القليلة عن الأحداث التي حصلت معه منذ عشر سنوات، تصورت كريس أن الأمر فعلاً كما يقول!

قالت مجدداً: «نعم».

شد يديه فوق ذراعيها وقال: «إذاً.. ما الذي أفعله هنا، بحق

السماء؟!».

ابتلعت كريس ريقها بصعوبة وقالت: «لا أعرف».

عنفها بقوة قائلاً: «بلى، تعلمين!».

- لا، أنا...

بلى هي تعلم! لكنها علمت أيضاً أن سام يملك القوة التي تملكها ذاتها كي يحارب الانجذاب الذي ظهر بينهما. وإن كان واضحاً أنه يريدها بقربه!

هزت رأسها وقالت: «كنت مغرماً كثيراً بزوجي».

كانت مغرمة؟ منذ متى أصبحت تستخدم صيغة الماضي في وصف مشاعرها...؟

رحب سام بإجابتها وقال: «نعم».

أضافت كريس بحزم: «وأنا لست مهتمة بإقامة علاقات جديدة».

- لا.

أخذت نفساً عميقاً وقالت: «أخبرني... عندما جاء جايمس كي يعمل هنا، هل قمتما معاً...؟».

أنهى سام جملتها قائلاً: «هل خرجنا معاً، وتحادثنا؟ لا! لم نكن كلانا مهتمين للخروج معاً، أو للتحدث مع بعضنا البعض. لكن أعتقد أننا تفاهمنا».

ثم تابع وهو يتمتم: «كريستال، زوجك رجل محبوب جداً».

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول: «نعم... نعم. لقد كان فعلاً محبوباً».

لكن سام ليس كذلك بالتأكيد، إذ ينقصه الكثير كي يصبح محبوباً مثله!

التوى فمه وظهر كأنه فهم ما تفكر به: «صدقيني! لم تكن لدي مشكلة يوماً بالتعامل مع الرجال!».

ذلك على الأرجح لأنه لا يتعامل معهم على أنهم أعداؤه. بعكس

النساء اللواتي يعتبرهن أعداءه. حسناً . . . ! معظم النساء. فمولي ليست إحدى أعدائه.

قالت له: «أصدقك. لكن ما الذي أثبتناه لبعضنا من هذا الحديث؟».

أجابها سام: «إن الانجذاب بين شخصين لا يأخذ بعين الاعتبار الأسباب التي تمنعهما من التقرب من بعضهما».

نعم لقد أثبتا ذلك فعلاً. لكن ما الذي سيحدث بعد ذلك؟

لا شيء! هذا هو الجواب المدوّي.

لا شيء سيحدث بعد الآن. لا وعود بعلاقة مزدهرة، ولا قلب يخفق بسرعة بعد أن أصبحا يعرفان بعضهما جيداً. لن يخرجا لتناول عشاء هادىء معاً ولن يذهبا معاً إلى المسرح. لن يقوما بنزهة في غابة ساحرة ولن يستمتعا بلحظات صامتة لمجرد وجودهما مع بعضهما. بكل بساطة لا شيء يكملانه معاً في هذه العلاقة.

استقامت كريس في وقفتها، وقالت له بحزم: «يجب حقاً أن أغادر سام».

لم يجبها بشيء، لكنه اقترب منها وعانقها بقوة. اشتعلت المشاعر القوية بينهما ما إن ازداد عناقهما عمقاً.

هذا جنون . . . ! إنه جنون مطبق. لكن كريس لم تشك بأن ذلك الجنون سيطر عليهما معاً . . .

وضعت يديها بقوة فوق كتفيه . . . وشعرت بعضلات صدره القوية وبحرارة جسده.

شعرت بعاطفة جارفة نحوه. آه . . . ! يا لشوقها العميق . . . ! أرادت كريس أن تشعر كأنه جزء منها.

رفع سام رأسه فجأة ليحدق بالباب المغلق.

بقي يمسك خصر كريس بيديه وتمتم قائلاً: «تباً!».

نظرت كريس نحوه ورأسها يدور وعيناها مليئتان بالشوق. سألته:

«ماذا هناك؟».

سمعا طرقة على الباب ترافقت مع صوت مولي الحاد: «سام؟».

بدا لكريس أن سام سمع الطرقة وصوت مولي في المرة الأولى قبلها.

ابتعدت كريس عنه بسرعة وتجنبت النظر نحوه. بهت اللون الأحمر فوق وجنتيها وعلاهما اللون الأبيض. ثم شبكت يديها ببعضهما كي لا يراها سام وهي ترتجف.

- كريستال . . . ؟

قاطعته بحدة وهي لا تزال تتجنب النظر في عينيه: «أعتقد أن عليك معرفة ما تريده مولي».

- لا يهمني ما تريده مولي . . .

نظرت كريس نحوه الآن وقد خلا وجهها من أي تعبير ثم قالت: «إذاً ربما عليك أن تهتم قليلاً».

بدا عصبياً بسبب مقاطعة مولي لهما، وبسبب جواب كريس المزعج.

اضطرب عصب في خده وهو يقول: «حسناً! سأرى ماذا تريد. لكن بعد ذلك سنعود لنتكلم مع بعضنا».

هزت رأسها نفياً وهي تقول: «لقد تكلمنا بما يكفي».

ثم أضافت بحزم وكأنه علق على كلامها: «والدقائق العشر الأخيرة لن تغيّر الواقع».

رقّ فمه وهو يتمتم: «سنرى بشأن هذا».

ثم اتجه نحو الباب وفتحه. قال والعنف واضح في نبرة صوته: «نعم، مولي!».

تراجعت مولي خطوة إلى الوراء كردة فعلٍ عفوية وقالت له: «ما كنت لأقاطعك، لكن . . . ».

ثم نظرت مكشرة نحو كريس وتابعت: «لكن يبدو أنك لم تسمع صوت الهاتف. حسناً! لذا . . . ».

قال سام بنفاد صبر: «فقط قولي ماذا هناك مولي. مهما كان الأمر!».

كشرت وهي تقول: «سالي غراينغر على الهاتف. تقول إنه أمر طارىء، وإن عليك أن تكلمها...».

نظرت مولي مجدداً نحو كريس باهتمام، بعد أن سمعتها تتنهد بصورة غير إرادية. سألتها: «ماذا هناك؟».

أدركت كريس أنها بسبب ما حدث مع مولي وسام حين عادا من نزهتهما نسيت كلياً أن توصل رسالة سالي إلى سام! ومن المستحيل ألاّ تقوم سالي بذكر المكالمة الأولى له...

استدارت لتنظر بتردد نحو سام، ثم اعترفت قائلة: «أنا... نسيت أن أخبرك. أنا... هي اتصلت سابقاً. أعني سالي غراينغر».

اختفت نظرات سام المحبة، وأصبحت تعابير وجهه قاسية وباردة. حتى صوته بدا بارداً جداً وخالياً من الإحساس وهو يسألها: «وحين اتصلت سابقاً هل أخبرتك لماذا تتصل؟».

ابتلعت كريس ريقها بصعوبة، وبالتفاتة سريعة نحو سام فهمت أنه لن يسهل عليها الأمر أبداً. فقالت: «أعتقد أن هناك مشكلة ما مع سلسلة بايلي».

لم تعتقد فحسب، لقد أخبرتها سالي بالمشكلة تماماً! وأصبحت تعلم بوضوح من يكون سام في الحقيقة.

تمتم سام ببرودة قبل أن يستدير بقسوة ويمشي نحو الباب: «فهمت».

صرخت كريس وهي تعلم أن عليها ألا تسمح له بالذهاب من دون تلطيف الأجواء: «سام!».

لكنها لم تملك أي فكرة عمّا يمكن أن تقوله له!

توقف مكانه، واستدار ببطء لينظر نحوها. بدت تعابير وجهه أكثر قساوة مما كانت عليه قبلاً، وسألها بجفاء: «نعم؟».

نعم، ماذا؟! ما الذي بإمكانها أن تقوله ليشكل أي فارق الآن؟! فكل الأسباب التي ذكرها منذ قليل والتي تقف في وجه علاقتهما لا تزال موجودة، وليس هناك ما تضيفه الآن. وسام يعلم جيداً أنها تعرف من

يكون بالضبط.

تنهدت، وقالت: «لا شيء... لا شيء أبداً».

تمنت أن يخرج سام ومولي فوراً، ويتركاها لوحدها مع تعاستها.

أحنى سام رأسه قليلاً قبل أن يستدير على عقبيه، ويخرج من الغرفة بقوة. لم يتوقف سوى ليلمس وجنة مولي قليلاً، ثم تابع طريقه نزولاً كي يرد على الاتصال الهاتفي.

بدا الصمت الذي ساد بين مولي وكريس بعد خروج سام المفاجىء مليئاً بالأسئلة غير المطروحة. تلك الأسئلة التي لم تجد الإجابة بعد.

١٢ ـ اعترافات على الطريق...

بقيت تلك الأسئلة معلقة، ومن دون أجوبة لساعة على الأقل، حين قادت كريس سيارتها عائدة إلى لندن.

قررت مولي مرافقة كريس، والعودة معها إلى المدينة لقضاء بضعة أيام برفقتها، بدلاً من البقاء في يوركشاير مع سام.

علّقت مولي حين أظهرت كريس تعجبها لقرار صديقتها قائلة: «أتيت لرؤيتك أنت».

لم تتمكن كريس من الاستمتاع ببضع ساعات من العزلة التي كانت تتطلع بشوق إليها وهي في طريق عودتها إلى لندن، رغم أن كلتيهما لم تبديا أي رغبة بكسر الصمت الذي ساد بينهما. فكريس، بكل بساطة، لم تعرف ما الذي بإمكانها التكلم عنه، أما مولي... حسناً! بعد سنوات من اعتقاد كريس أن مولي كتاب مفتوح، كان عليها الاعتراف أنها لا تملك أية فكرة عمّا أخذت تفكر به خلال رحلة العودة!

- أنت تعلمين أن سام لم يكن مذنباً، كريس.

اهتزت أعصاب كريس حين كسرت مولي ذلك الصمت. ثم ألقت باتجاه مولي نظرة خاطفة قبل أن تجيبها. بعدئذٍ عبست بتوتر وقالت: «عفواً؟».

بأي شأن لم يكن سام مذنباً؟ بأنها لم تعرف حقيقة علاقته بمولي؟ بأنه غامض لا يمكن فهمه بسهولة؟ أم بأنه بدا غاضباً كثيراً بعد محادثته مع سالي غراينغر عبر الهاتف؟

في الواقع، كلمة «غاضب» لا تصف فعلاً تصرفاته عندما عاد

للانضمام إليهما في غرفة الجلوس بعد محادثته مع سالي. لقد بدا فظاً، متعجرفاً وبارداً... بارداً جداً، جداً!

بدت عيناه كالجليد وهو يقول لها بشكل مهين: «حسناً! إن كنت سترحلين، ألا تعتقدين أن من الأفضل أن تفعلي ذلك الآن؟».

احتجت مولي بسرعة: «سام!».

لكنه لم يُبدِ أي تجاوب، فأضافت تقول: «أنت تتصرف بفظاظة كبيرة!».

لكن سام لم يلتفت حتى نحو مولي بل بقي يحدق بكريس بالنظرات الجليدية نفسها، وقال: «حسناً! لقد سرّني لقاؤك، سيدة جايمس».

ثم هز رأسه وهو يقول: «أتمنى لك رحلة آمنة إلى منزلك».

بعدئذٍ التفت نحو مولي وسألها متحدياً: «هل هذا كلام مهذب كفاية بالنسبة لك؟».

أجفلت مولي وهي تقول: «نعم، ولكن...».

نصحتها كريس قائلة بحزن: «دعيه مولي...».

علمت كريس أن الكلام سيزيد الوضع سوءاً بسبب مزاج سام المعكر.

ردّد سام كلماتها بلؤم، قائلاً: «نعم، دعيني مولي! فأنا والسيدة جايمس قلنا لبعضنا ما كان علينا قوله».

ثم مشى خارجاً من الغرفة من دون النظر مجدداً نحو المرأتين.

وكان هذا آخر ما رأته كريس منه.

يبدو أن مولي ذهبت لتودعه وأعلمت كريس أنها ستعود معها إلى لندن.

استغربت كريس قرار مولي، فهي بالكاد وصلت إلى يوركشاير. ألم تكن تريد أن تمضي بعض الوقت مع سام...؟

قالت مولي باختصار لتجيب عن تساؤل كريس المشوش: «راشيل».

عادت لتوضح الاسم أكثر حين بقيت كريس تنظر إليها بدهشة:

«راشيل غيبسون».

آه. . . ! إذاً هذا هو الموضوع الذي قصدت مولي بأن سام لم يكن مذنباً فيه!

راشيل غيبسون. تلك الممثلة الجميلة الموهوبة، خطيبة الكاتب الذي نال الجوائز العالمية سام وينغارد. لقد تناولت جرعة زائدة من الحبوب المنومة بعد أن فسخ سام خطوبتهما وسط الاتهامات التي وجهت إليه بإقامة علاقة مع امرأة أخرى.

لكن يبدو أن تلك المرأة الثانية لا تشكل جزءً من حياة العزلة التي يعيشها الآن. . . أم أنها مخطئة بهذا الشأن؟ تساءلت كريس الآن وهي ترمق مولي بنظرات خاطفة. كانت مولي في السادسة عشرة من عمرها فقط حين جرت كل تلك الأحداث. ولكن. . .

تابعت مولي بهدوء: «كانت راشيل غير متوازنة، لكن سام لم يدرك ذلك في البدء حين التقى بها. آه! ولم يبدُ عليها ذلك الجنون في كل الأمور، لكن فقط بما يخص سام على ما يبدو. حين أصبحا مخطوبين، بدأت راشيل تشعر كأن كل امرأة يلتقي بها سام أو تقترب منه تريد إقامة علاقة معه. أصبحت غيرتها المحرجة لا تحتمل بالنسبة إليه. لذا رأى ببساطة أن الحل الوحيد لمشكلتها هي فسخ الخطوبة».

عند تلك النقطة بالذات، كما يبدو، قامت راشيل غيبسون بتناول الجرعة الزائدة. . .

تذكرت كريس أن الصحف في تلك المرحلة نقلت قصة مختلفة. إحدى تلك القصص ذكرت أنه أهانها بالخروج في العلن مع نساء أخريات لأيام وأسابيع، بينما هي نفسها لم تكن ترى خطيبها في تلك الفترات الطويلة. وما كسر قلبها فعلاً هو إنهاء خطوبتهما وخروجه من حياتها إلى الأبد.

العديد من النساء كن ليشعرن بالارتياح لتخلصهن من وحشٍ كهذا. لكن راشيل غيبسون صرحت لصحيفة يومية، بعد أن شفيت بأنها ما زالت مغرمة بسام.

كان لدى كريس ساعات طويلة هذا الصباح قبل عودة سام ومولي من النزهة كي تتذكر كل ما أمكنها عمّا حدث مع سام منذ عشر سنوات. ظلت إحدى الصحف تتناقل أخباره لأسابيع طويلة، منذ محاولة راشيل للانتحار حتى استعادتها عافيتها، واعترافها من جديد بأنها ما زالت مغرمة به، وتريد منه العودة إلى حياتها. لذا لم يبدُ من الصعب تذكر التفاصيل الشخصية لقضية فسخ خطوبتهما.

لكن مما تتذكره كريس، لم تذكر أي صحيفة يوماً مسألة غيرة راشيل لدرجة الهوس. هذه الغيرة التي تكلمت عنها مولي.

أجابتها كريس من دون إظهار أي اهتمام غريب: «أنا متأكدة أنه مرّ بأوقات صعبة».

أوقات صعبة! هذا لا يكفي لوصف ردّة فعل سام الخاصة والإعلامية بعد محاولة الانتحار التي قامت بها راشيل. بين ليلة وضحاها، أصبح سام منبوذاً من الجمهور ومن زملائه وأصحابه أيضاً. توقف عرض مسرحية له بعد أسبوعين من محاولة الانتحار بسبب عدم الإقبال على شراء التذاكر. أما ترشيحه لنيل جائزة أوسكار عن فيلم المحارب الأسود فقد باء بالفشل. وقامت إحدى المحطات التلفزيونية فجأة بوقف تصوير مسلسل من كتابته في منتصف حلقاته. وفي غضون أسابيع أصبح سام وينغارد كالكلمة البذيئة، وأصبحت مهنة الرجل في الحضيض. . . وعلى الأرجح حياته الخاصة أيضاً.

لهذا السبب على الأرجح أصبح يعيش الآن كالناسك في غابات بوركشاير، وتعمد إبقاء منزله متداعياً لردع الناس عنه، ولم يترك له صديقاً سوى ذلك الكلب الإيرلندي.

لكن. . .

قالت كريس بأمل: «لكن يبدو أنه يلاقي النجاح في مسلسل بايلي».

لكنها علمت أن سام وينغارد لم يظهر يوماً في أي احتفال تكريمي لهذا المسلسل الذي يلاقي نجاحاً منقطع النظير.

تنهدت مولي وهي تقول: «أنت لا تصدقين شيئاً مما قلته، صح؟».

عبست كريس وقالت: «مولي ليس من شأني أن...».

قاطعتها مولي بحزم وهي تدل إلى إحدى محطات التوقف وقالت: «توقفي عند تلك المحطة. أريد أن تعطيني كامل انتباهك وأنا أتكلم معك».

لم يكن لدى كريس أدنى فكرة لما تظن مولي أن عليها الاهتمام لهذا الموضوع كثيراً، لكنها ركنت السيارة في أحد المواقف. أطفأت محرك السيارة قبل أن تلتفت لتنظر نحو صديقتها.

علق الكلام الذي أرادت قوله لمولي في حلقها حين رأت عيني صديقتها البنيتين تسبحان بالدموع.

- مولي!

اقتربت كريس من صديقتها وعانقتها قبل أن تنظر نحوها مجدداً باهتمام، وتكمل: «إن كان الأمر مهماً بالنسبة إليك إلى هذه الدرجة... نعم أنا أصدقك».

نزلت دموعها فوق خديها وهي تقول بصعوبة: «بالطبع من المهم لي أن تصدقيني. سام شخص... مميّز... إنه طيب، كريم، محب و...».

رفعت كريس يديها باستسلام، محاولة جعل صديقتها تبتسم لردة فعلها المضحكة وقالت: «حسناً! حسناً! أنا أستسلم. إن كنت تظنين أنه مميز فأنا واثقة أنه كذلك».

مسحت مولي دموعها بنفاد صبر، وقالت: «لو لم أكن أعرفك جيداً، لقلت إنك تقولين ذلك لإسكاتي فقط كريس...».

أكدت كريس لصديقتها قائلة: «لا أنا لا أفعل ذلك، فنظرتك تجاه سام هي من شأنك أنت فقط».

تابعت كريس الجملة في رأسها تقول: «وإن كان العالم كله لا يوافق على نظرتك تلك!».

ابتسمت مولي وقالت: «تعلمت بنفسي خلال سنواتي القليلة في العمل في التمثيل أن هذا المجال متقلب جداً. في ثانية تكونين في محور النجاح والشهرة وفي ثانية أخرى تعودين إلى الظل بعيداً عن الأضواء».

هزت رأسها بأسى ثم تابعت: «لكن بسبب تجربة سام منذ عشر سنوات، تمكنت من إبقاء قدمي على الأرض بما يخص مهنتي. أنا أتعامل مع جميع الأحداث الجيدة التي مرّت علي بنوع من السخرية. اهتممت كثيراً لإبقاء حياتي الشخصية لنفسي بعيداً عن عالم الشهرة بالكامل. لهذا السبب صداقتنا أمر مهم جداً بالنسبة لي».

ثم تابعت تقول: «آه، أنا أعلم أن لديك مهنة ناجحة، لكنك أيضاً لا تدعين ذلك يؤثر على حياتك الشخصية. بالإضافة إلى أن صداقتنا كانت موجودة منذ وقت طويل، قبل أن نبدأ بتحقيق نجاحاتنا العملية».

أكدت كريس لها بدفء: «وستستمر صداقتنا إلى الأبد. لقد مررنا بظروف كثيرة معاً ولن نسمح لشيء أن يدمر تلك العلاقة».

لكن كريس... لا زالت غير واثقة بما كانت مولي تشعر به تجاه جايمس ولا تملك أي فكرة عن العلاقة التي تربطها بسام ما عدا أنها تعتبره بطلها المفضل.

أمسكت مولي بيد كريس وهي تقول: «أنا... أنا... لطالما شعرت بالذنب بشأن جايمس!».

تمكنت أخيراً من قول تلك الكلمات وقد أصبحت تعابيرها ذابلة الآن.

تصلبت كريس وهي لا تزال غير واثقة إن كانت تسمع من مولي اعترافاً بالحب تجاه زوجها. لكن جايمس توفي الآن وهي ومولي لا تزالان على قيد الحياة. لذا إن كانت مولي قد تحلت بالقوة لتسمح لكريس بإيجاد السعادة بجانب جايمس، لا بد أن يكون لديها هي الآن العاطفة الكافية لتقبل المشاعر التي كانت مولي تكنها له.

- فقط لو أنني لم أعرفكما على بعضكما...

لو؟ يبدو أن الحياة عبارة عن مجموعة من التمنيات. لو لم تلتقِ بجايمس لما وقعا في حب بعضهما. ولو لم يغرما ببعضهما، لما تزوجا ووجدا السعادة معاً. ولو لم يصب جايمس بالسرطان لكان حياً يرزق الآن. لو... لو... لو!

لدى الجميع تمنيات لم تتحقق، فمولي بالتأكيد لديها تمنيات كثيرة، وكريس متأكدة أن لدى سام أيضاً العديد من تلك التمنيات!

تابعت مولي قائلة: «أنت بمثابة أخت لي كريس. أعلم أنني كنت المذنبة في تعريفك على جايمس... لقد جعلتك تفقدينه بتلك الطريقة المؤلمة...».

تنهدت بقوة وتابعت: «لا تعلمين كم مرة ندمت لأنني عرفتكما إلى بعضكما، ولأنني السبب في جلب الحزن والألم لك...».

قاطعتها كريس قائلة: «لقد ظهر الألم بعد وفاته فقط، مولي...».

فهمت كريس الآن أن هناك تفسيراً آخر لندم مولي على تعريفها إلى جايمس. فالسبب ليس حب مولي له بل شعورها بالذنب لأنها عرفتها إلى الرجل الذي مات بعد أن أغرمت به.

تابعت كريس تشرح لها قائلة: «لقد عشت أجمل ستة أشهر في حياتي برفقة جايمس. ستة أشهر لم أكن لأحظى بمثلها لو لم تعرفيني به. وأنا لا أندم على أية لحظة من تلك الأوقات التي أمضيناها معاً».

ثم أضافت بحزم حين بدت مولي جاهزة للاعتراض من جديد: «لا أندم على شيء أبداً».

نظرت مولي نحوها باحثة وقالت متسائلة: «هل تعنين ذلك فعلاً، كريس؟».

ردّت كريس من دون تردد: «بالطبع، أعني ذلك».

بدت كريس متأكدة أنها لا تندم فعلاً على الوقت الذي أمضته مع جايمس. علمت أنها لو اكتشفت مرضه قبل أن تلتقي به وتغرم به، لوقعت في حبه بجميع الأحول...

تنفست مولي وهي ترتجف وقالت: «بعد أن رأيت حزنك في المأتم... تعمدت أن أتجنب لقاءك ورؤيتك لمدة أشهر. كنت أحتج دائماً بعملي الدائم الذي لم يكن له وجود».

قرصت كريس ذراع صديقتها بتأثر وقالت: «ذلك تصرف سخيف منك. لم يكن من داعٍ أبداً لتفعلي ذلك».

نظرت مولي نحوها وهي تبدو كاللعبة الجميلة وقالت: «علي القول إنك تبدين الآن فعلاً أفضل بكثير مما كنتِ عليه حين تحدثنا آخر مرة عبر الهاتف».

أكدت كريس لها وهي تدرك ذلك بنفسها: «أنا فعلاً بحالٍ أفضل».

يبدو أن الحزن الذي تحملته العام الفائت بسبب فقدان زوجها ووالديها قد بدأ يخف تدريجياً. إنها في الواقع تنتظر بحماس عودتها إلى لندن، وهي الآن تشعر بحماس حتى للعمل على برنامجها التلفزيوني الجديد!

ابتسمت كريس وهي تقول: «لا بد أن هواء يوركشاير العليل قد أفادني كثيراً!».

نظرت نحوها مولي بسخرية وقالت: «هل هذا يعني أن لقاءك بسام ليس له علاقة بتغير مزاجك؟».

عبست كريس. سام؟ ما علاقة سام إن كانت حياتها لم تعد تبدو كئيبة ومملة بالنسبة لها؟! فبعد أن أخبرها مرتين أن عليهما التحدث لم يزعج نفسه حتى بالخروج لوداعها قبل أن تغادر!

بحسب ما أخبرتها مولي، لقد تمنى سام لهما رحلة موفقة قبل أن يخرج بنزهة مع ميرلن.

كررت كريس وهي تهز رأسها: «سام؟ ليس لدي أي فكرة عمّا تتحدثين عنه مولي».

قالت ذلك وهي لا تريد التفكير حتى للحظة بمشاعرها تجاه سام وينغارد. سيكون أمامها متسع من الوقت للتفكير بهذا الأمر حين تصل

إلى لندن...

قالت مولي بحنق: «لقد قامت راشيل بتدمير عشر سنوات من حياته. في الواقع، قامت بعمل كافٍ للعبث بحياتنا نحن أيضاً لفترة طويلة من الزمن!».

عبست كريس وهي غير واثقة مما ستسمعه وقالت: «أحقاً فعلت ذلك؟».

هزت مولي رأسها وشرحت لها: «ألَم تظنين أنه كان علي تغيير مدرستي وأنا في السادسة عشرة من عمري؟ لقَد هرعت راشيل إلى الصحف مع مجموعة من الأكاذيب عن سام. بدت تلك الأخبار كالعاصفة التي هبت بوجه عائلتي، لذا قرر والداي أن من الأفضل أن أتعلم في مكانٍ ليس من المعروف فيه أن سام وينغارد هو أخي».

وجدت كريس صعوبة في استيعاب هذه المحادثة، فسام اعترف بكل صراحة في الصباح الباكر أن مولي ليست شقيقته!

سألت كريس بتردد: «إذاً، اسم عائلتك ليس بارتون...».

رمقتها مولي بنظرات سريعة وهي تقول: «بالطبع إنه اسم عائلتي. لقد تزوج والد سام بأمي حين كنت في الثانية عشرة من عمري».

إذاً هذا يجعل من سام أخاها، عن طريق زواج والديهما فقط! لَم لم تفكر بذلك من قبل؟! وبخت كريس نفسها، فالعائلات الكبيرة والروابط الأخوية الناتجة عن زواج الوالدين أمر شائع هذه الأيام.

تابعت مولي تقول: «لكن ذلك ليس مهماً الآن. ما أقصد قوله هو أنني لن أسمح لراشيل بالعبث بحياة سام من جديد!».

انحنت كريس في مقعدها قليلاً وقد بدت تعابيرها قلقة الآن... وقالت بتعجب: «ماذا يعني ذلك، بحق السماء؟».

قالت مولي ببساطة: «ألا يبدو واضحاً لماذا أردت رؤيتك في يوركشاير وليس في لندن؟ لا أعتقد أنك... أنك بعيدة عن الرجال منذ وفاة جايمس إلى درجة لا تسمح لك حتى بملاحظة مدى روعة سام!».

بالطبع لاحظت ذلك! لاحظت ذلك حالما اخترقت عزلة ذلك الناسك المختبىء في يوركشاير. بدا جذاباً جداً، لذا كان من الصعب ألا تلاحظ تميّزه. لكن ذلك لا يعني... لا يعني...

قالت كريس ببطء: «مولي! إن شعورك بالذنب بسبب خسارتي لجايمس لا... هل قمت بتأخير وصولك إلى يوركشاير بشكل متعمد؟ أحقاً فكرت بإعطائنا أنا وسام مهلة يومين لكي نتعرف على بعضنا أكثر؟

قطبت كريس حاجبيها حالما خطرت تلك الفكرة في ذهنها. هزت رأسها غير مصدقة، وتابعت: «لا تقولي لي إنك فكرت بجعلي أستبدل جايمس بسام بطريقة ما؟!».

بدت الفكرة سخيفة لا تصدق، ولكن...

قالت مولي: «ألا تظنين أن هذه ستبدو فكرة سخيفة مني؟! أنا واثقة أنك أصبحت تعرفينه بما يكفي في هذين اليومين كي تدركي أنه ليس من النوع الذي بإمكانك دفعه نحو أي شيء».

بقيت كريس عابسة، ولم تطمئن كثيراً لتأكيدات صديقتها. بدا لها بوضوح أن مولي لم تجب عن الجزء الأول من سؤالها...

بالطبع شعرت كريس بالارتياح لمعرفتها أن مولي لم تكن مغرمة بجايمس، لكن ذلك لم يجعلها تبعد عن تفكيرها قيام مولي بجمعها مع سام.

أخذت نفساً عميقاً وقالت: «نعم، ولكن...».

قاطعتها مولي قائلة: «لكن ذلك لا يعني أنني لن أشعر بالسعادة المطلقة لو انجذب صديقتي المفضلة وأخي إلى بعضهما. علي القول أيضاً إنه بدا لي مرتين منذ وصولي أنكما متحابان».

لم تستطع كريس إخفاء اللون الأحمر الذي علا خدّيها. من المستحيل ألاّ تلاحظ مولي ذلك التقارب الشديد بينها وبين سام.

اعترفت بنفاد صبر قائلة: «كان هناك... انجذاب بيننا... لكن بحق السماء مولي! لا تبدأي بتحليل الأمور وتضخيمها! أنا أعيش في لندن، وأدير مطعماً، ولدي برنامجي التلفزيوني الخاص...».

أصرت مولي قائلة: «لا تقولي لي إنه بسبب مشاغلك الكثيرة ليس لديك الوقت للتفكير برجل وإدخاله إلى حياتك، لأنك كنت تقومين بتلك الأعمال أيضاً حين تزوجت من جايمس».

أنكرت كريس الأمر قائلة: «ليس هذا ما أردت قوله. ما أقصده أن مساري حياتينا لا يتلاءمان مع بعضهما».

- ولكن...!

قاطعتها كريس بحزم وهي ترمقها بنظرات تحذيرية: «انتهى الموضوع، مولي».

كشرت مولي قائلة: «يريدني سام أن أتصل به حين نصل إلى لندن».

سألت كريس بقلق: «ماذا يعني ذلك؟».

إنه بالتأكيد يريد فقط الاطمئنان على وصول أخته إلى لندن بأمان! شعرت كريس بأنها سخيفة قليلاً لأنها أخطأت في تقدير علاقة سام بمولي. لكن الحمد لله أن لا أحد منهما لاحظ أين ذهبت بمخيلتها الواسعة!

لكن هناك كارولين أيضاً في حياة سام... هل تعلم مولي بشأنها يا ترى؟ مما قالته مولي يبدو أنها لا تعرف بشأن كارولين.

- طلب مني أن أخبره إن كنت بخير.

تعجبت كريس للأمر، وقالت بغضب: «ولمَ قد لا أكون بخير؟».

بدت مولي مندهشة: «لم يخبرني بالسبب. فقط طلب مني أن أتصل به حالما نصل إلى لندن».

شعرت كريس بالسخط لأن سام تصرف بتسلّط حين طلب من مولي فعل ذلك. قالت بغضب مجدداً: «إن كان قد عانقني مرتين فهذا لا يعطيه الحق...!».

قاطعتها مولي وقد التمعت عيناها بحماس: «آه! حقاً؟...».

ردّدت كريس وهي تحاول إنهاء الحديث من جديد: «آه... حقاً! ليس هناك ما يستوجب الدهشة. أظن أن الحديث انتهى فعلاً الآن

مولي».

قبلت مولي بخفة كلامها: «حسناً!».

التفتت كريس لترمق صديقتها بنظرات عابسة قبل أن تستدير مجدّداً نحو المقود لتدير المحرّك وتتجه نحو لندن. تمتمت بنبرة ملؤها عدم الرضى: «أعتقد أنك أصبحت فضولية بعض الشيء!».

ضحكت مولي وقالت: «يا لهذا القول الفظيع!».

ارتاحت في مقعدها واستلقت إلى الخلف، ثم تابعت تقول: «أعتقد أنني سأنام قليلاً، فأنا أشعر بالتعب».

بدا ذلك ملائماً لكريس أيضاً، رغم أنها لم تصدق أن تعب مولي ناتج عن تغيّر التوقيت بين نيويورك وإنكلترا. علمت أن مولي تستغل النوم كحجة فقط للتوقف عن الجدال معها، ولكي تتوقف عن سماع كريس تنكر وجود أي نوع من العلاقة بينها وبين سام!

إنها علاقة غير موجودة فعلاً... أم أن هناك علاقة ما؟؟

١٣ - ضيفة شرف

عاد مدير مطعم كريس بعد تلقي اتصالٍ هاتفي وهو يقول: «آسف كريس، لكن يبدو أن طلبية عيد الميلاد قد ارتفعت كميتها مجدداً. لدينا طلب إضافي الآن، ما يجعل المجموع خمسة وعشرين شخصاً».

نظرت كريس من وراء علبة الفواكه التي كانت ترتبها وهي تقول: «عظيم... أصبح العدد رقماً مفرداً الآن. بدأت أتمنى لو أنني لم آخذ هذه الطلبية منذ البداية. أخبرتهم أن لا مجال لدينا لاستقبالهم قبل التاسعة والنصف، فلدينا أكثر من حفل عشاء. لو لم تكن سكرتيرة السيّد غاردنر ساحرة ولطيفة لما قبلت الطلب أصلاً!».

سألها جيري بهدف إغاظتها: «أهي سكرتيرة أم سكرتير؟».

- إنها امرأة.

كشر جيري وهو يقول: «من الواضح أن السيد غاردنر لديه ذوق مرهف في اختيار المطاعم الجيدة».

ابتسمت كريس بسخرية بسبب الإطراء وقالت: «أنا آمل فقط أن يقدر العمل الإضافي الذي نقوم به بسبب التغير الدائم لعدد مدعوّيه».

كان الحجز منذ ثلاثة أسابيع لثمانية عشر شخصاً، ثم أخذ عدد المدعوين يزيد تدريجياً.

انتقلت كريس من تنسيق الفاكهة لتبدأ بتنسيق الأزهار لوضعها في وسط الطاولة الضخمة التي غطت نصف مساحة المطعم.

كان من الضروري ترتيب طاولة واحدة كبيرة كي يجلس المدعوون معاً.

هز جيري كتفيه وهو يقول: «أضيفي ذلك إلى فاتورته».

بدا جيري قصيراً وفي الأربعين من عمره. تابع يقول: «إن كان قادراً على دعوة خمسة وعشرون شخصاً إلى العشاء لمناسبة عيد ميلاده، فهو بالتأكيد لن يلاحظ إضافة بعض المصاريف غير الضرورية إلى فاتورته».

ضحكت كريس بهدوء: «يا لك من مشاغب جيري سميث! تعلم أنه لا يمكنني فعل ذلك. سبق أن أعلمت سكرتيرته بكلفة العشاء لكل شخص مدعو بما في ذلك الفاكهة والمشروبات أيضاً».

وافقها جيري وهو ينظر إلى ساعة يده: «بالطبع. لا يزال أمامنا أربع ساعات قبل الحجز الأوّل لهذا المساء. هل يمكنني أن أعود إلى المنزل لساعتين كي أساعد بام في وضع الشقيقتين في السرير؟».

الشقيقتان هما طفلتا جيري وبام التوأمان. إنهما في السادسة من العمر، ووالدهما يعشقهما حتى الموت.

وافقت كريس على الفور قائلة: «بالطبع، يمكنك ذلك. كل شيء هنا جاهز وتحت السيطرة. لم يبقَ أمامي سوى تحضير الطبق الإضافي للمدعو رقم خمسة وعشرين. وبعد ذلك سأجلس وأرفع قدمي لساعة كاملة كي أرتاح».

أمضت كريس الساعات الثلاثة الماضية وهي واقفة تجهز المطعم من أجل هذه الأمسية.

أبلغها جيري قائلاً: «سأضيف مقعداً إلى الطاولة قبل أن أذهب».

ثم وعدها وهو يمشي: «سأعود عند السابعة والنصف».

لوحت كريس له بيدها وهي تقول: «شكراً جيري».

ثم تابعت تنسيق الزهور الصفراء التي طلبت خصيصاً من أجل المدعوين الأربعة والعشرين... الخمسة والعشرين.

بدت الأسابيع القليلة الماضية متعبة جداً لكريس ومليئة بالأعمال، ومع بدء تصوير برنامجها التلفزيوني في الأسبوع المقبل علمت أن المستقبل القريب لن يكون أقل تعباً.

لكنها لم تشعر بالانزعاج، فهي تستمتع بعملها بشكلٍ لم تفعله منذ

أشهر.

إنها لا تستمتع... بل هي مستغرقة في العمل بشكلٍ يفوق التصور!

لكن يبدو أن ذلك الشعور الغبي لا يزال يسيطر عليها، ويضع أفكاراً سخيفة في رأسها من فترة لأخرى... أفكاراً غريبة كالعودة إلى منزل سام وينغارد بشكل مفاجيء!

كيف تتخيل بحق السماء أنها تقوم بعمل كهذا؟ لا سيّما الآن بعد أن عادت إلى الحياة الصاخبة السريعة، وهو لا يزال منعزلاً في غابات يوركشاير!

وجدت كريس نفسها تفكر به بشكل دائم. منذ عودتها إلى لندن أخذت تراقب الرجال في الشوارع أو في المحلات التجارية، فكلما رأت شخصاً يشبهه، بطوله ولون بشرته، تعتقد لبرهة بسيطة أنه سام. وذلك بالطبع، لأن شعوراً في داخلها يؤلمها ويحثها على رؤيته.

إنها بكل بساطة مغرمة بسام...

المشاعر التي أحستها تجاه سام وهي في يوركشاير لم تخف حين عادت إلى لندن. بل ربما ازدادت بشكل كبير. أدركت كريس أن استغراقها في العمل هو مجرد هروب من أفكارها الحقيقية.

بقيت مولي على وعدها منذ أربعة أسابيع. حالما وصلتا إلى شقة كريس قامت بالاتصال بسام، لكنه لم يطلب التكلم مع كريس. ومنذ ذلك الحين لم تعرف كريس أي خبر عنه.

هي لم تتوقع أن تسمع أخباراً عنه، لكن لو أنها سمعت شيئاً من أخباره لكان ذلك رائعاً بالنسبة إليها. لم تعلم ما الذي قد يقولانه لبعضهما... لكنها رغم ذلك شعرت بحاجة قوية إلى سماع صوته.

نتيجة لمشاعرها تلك، حاولت كريس الانشغال بالأعمال كثيراً. استأنفت حياتها الاجتماعية، كثفت حضورها في المطعم، كما وضعت اللمسات الأخيرة على كتابها الذي سينشر قريباً مع بداية انطلاق برنامجها الجديد.

لكن لتكون صادقة مع نفسها علمت أن تلك الأعمال جميعها لم تخفف من رغبتها بلقاء سام أو مجرّد رؤيته من بعيد أو سماع صوته.

لكنها بالتأكيد لم تكن تعلم كم ستشعر بالارتباك إن رأته فعلاً!

* * *

دخل جيري ببطء إلى المطبخ وأخبر كريس بشكل عملي وهو يراقب سير العمل حوله: «بدأ ضيوف غاردنر بالوصول. أعتقد أنهما ضيفان عاديان، وضيف الشرف ليس بينهما».

هزت كريس رأسها، وقالت: «جيد».

ثم خلعت الوزرة والقبعة اللتين تضعهما أثناء العمل في المطبخ.

أكدّ لها جيري بدفء قائلاً: «تبدين رائعة... كالعادة».

ابتسمت له بامتنان قبل أن تخرج إلى صالة المطعم لترحب شخصياً بضيوف عيد الميلاد. بقيت هناك كي تستقبل جميع الضيوف الذين أخذوا يتوافدون.

لاحظت كريس حين أصبحت الساعة العاشرة أن خمسة من المدعوين لم يحضروا بعد. حتى إن ضيف الشرف لم يأتِ بعد! لكن بدا بوضوح أن الضيوف الآخرين كانوا مستمتعين جداً بذلك العشاء.

حسناً! نحن لسنا في الأوّل من نيسان، لذا من المستحيل أن تكون هذه كذبة نيسان... فكرت كريس وهي تحدق في ساعتها، بأنه لا بد أن يصل الضيوف ولو متأخرين. ولكن...

- كريس!

اتسعت عينا كريس حين تعرفت على ذلك الصوت، قبل أن تلتفت نحو الباب. فتحت كريس ذراعيها بحماس حين رأت مولي تدخل بفرح نحوها.

قال صوت مألوف آخر: «أعتقد أنني أطلب الكثير إن تمنيت أن تستقبليني بحماس مماثل!».

تصلبت كريس مكانها، وشعرت باللون يترك وجهها وهي تبتعد ببطء

عن مولي. جمدت في مكانها لتواجه... سام!

بدا سام جذاباً ببذلة العشاء الرسمية مع قميص بيضاء! رمشت كريس بدهشة حالما رأت مظهره الملفت. بدا مبتسماً وحليق الذقن، حتى شعره بدا قصيراً أكثر مما كان حين رأته سابقاً. فتح يديه مرحباً، ثم رفع أحد حاجبيه متحدياً وقال: «حسناً؟».

لم تتمكن كريس من إبعاد نظرها عن عينيه الخضراوين الساحرتين. تحركت إلى الأمام نحوه لتعانقه... لكنها تمكنت في اللحظة الأخيرة من الإمساك بيديه كي لا يلفهما حول خصرها. ثم هزتهما بين يديها وهي تصافحه برقة.

نظر سام نحوها وعيناه تضحكان، وقال: «أهذا كل شيء؟».

أجابته كريس ببرودة: «بالطبع».

لكنها ارتجفت من الداخل، وأجبرت نفسها على النظر بعيداً.

ابتسمت بتساؤل لمولي بينما علا اللون الأحمر وجنتيها، وسألتها: «لمَ لم تتصلي بي كي أعلم أنك تريدين حجز طاولة لهذه الليلة».

- لكنني فعلت ذلك عزيزتي.

أجابت مولي باللكنة الإيرلندية البرجوازية التي بدت مألوفة لدى كريس! إنها لكنة سكرتيرة السيّد غاردنر التي اهتمت بتفاصيل الحجز لهذه الأمسية.

قالت كريس وهي مشوشة الذهن: «أيعني ذلك أنك السيد غاردنر؟».

كان عليها أن تكشف ذلك من الطبق الرئيسي الذي تحبه مولي كثيراً...!

أجابها سام بلطف: «لا! بل إنه أنا».

استدارت كريس نحوه: «إنه عيد ميلادك إذاً...؟».

لمَ لا؟ لا بد أن يأتي عيد ميلاده في يوم من أيام السنة كجميع الناس. إذاً لمَ لا يكون اليوم؟

تدخل صوت رجلٍ لطيف آخر قائلاً: «لا! في الواقع إنه عيد ميلادي أنا».

حدقت كريس خلف مولي وسام لترى ثنائياً آخر يرافقهما. إنه رجل طويل جذاب ترافقه امرأة رائعة الجمال.

ابتسم الرجل وهو يمد يده ليصافح كريس بحرارة قائلاً: «ماثيو وينغارد... وهذه زوجتي كارولين».

والتفت نحو المرأة التي تقف بجانبه...

كارولين...!

حدقت كريس بالمرأة التي بدت في أواخر الأربعينات أو في بداية الخمسينات من عمرها. بدا جمالها ساحراً. لا بد أنها هي نفسها كارولين التي اتصلت بسام في يوركشاير!

شعرت كريس بألم في معدتها حالما راودتها فكرة غريبة... وفق ما أخبرتها به مولي عن علاقتها بسام... كان عليها أن تفكر بذلك من قبل...!

اقترح سام ممازحاً: «قولي مرحباً، كريستال».

بنظرة سريعة نحوه اكتشفت كريس عدم وجود ذلك الحس الفكاهي في نظراته.

أخذت نفساً عميقاً ورحبت بتلك المرأة. صافحتها وهي بالكاد تلمس يدها: «مساء الخير سيدة وينغارد. حسناً! كما ترون لقد وصل جميع ضيوفكم».

ثم رفعت يدها لتشير نحو المدعوين العشرين الذين كانوا يجلسون في أماكنهم. ثم عبست وهي تدرك أنه لا يزال هناك خمسة مقاعد خالية وليس أربعة، فقالت: «يبدو أن هناك ضيفاً واحداً لم يأتِ».

بدا من المذهل لها أنها لا تزال قادرة على التركيز بعد الصدمة التي تلقتها الآن! أوّلاً وصول مولي... ثم سام. وكذلك تعرفها على ماثيو وكارولين وينغارد. إنها تشعر بالتشوش تماماً، لذا من العجب أنها لا

تزال تملك قدرة عالية للعمل.

أم أنها...؟

أكد سام لها وهو يقترب منها أكثر: «وصل جميع ضيوفنا، كريستال».

ابتعد الثنائي عنهم وذهبا كي يرحبا بالضيوف.

أصبح سام قريباً منها بشكل غير مريح الآن، رغم أنها علمت أن مجرد وجوده معها في الغرفة نفسها يجعلها تشعر بعدم الارتياح!

- لكن...!

أخبرها بهدوء: «المقعد الإضافي هو لك».

ثم أضاف بتفهم حين رأى الانفعال على وجهها: «حين تنهين عملك، وتصبحين جاهزة للانضمام إلينا بالطبع».

- أنا؟

أكد سام لها: «أنت، نعم. هل تستطيعين تدبر الأمر؟».

تدبر أي أمر؟ هي الآن تشعر كأنها في ضياع لا مثيل له!

أجابته بحذر: «هذا فعلاً لطف منك، لكنني أخشى...».

قاطعها سام بحزم قائلاً: «والدي متحمس جداً للتعرف إليك، حين أخبرناه بأننا جهزنا له حفلة عيد ميلادٍ مفاجئة في مطعمك. آمل ألاّ تخيبي أمله اليوم بالذات!».

رمشت كريس... بدأ ذلك الكابوس يصبح حقيقة فعلاً!

إذاً ماثيو هو والد سام... وهذا يعني أن كارولين هي والدة مولي... وهي زوجة والده!

شرح سام لها قائلاً: «ماثيو... وكارولين، والدة مولي».

ثم تابع ليشرح لها حين رآها تعبس بعدم ارتياح: «نحن في العادة نشير إليهما باسم «الوالدين»».

قررت كريس أنها تحتاج بضع دقائق بفردها، فهي تشعر بدوار بسبب رؤية سام مجدداً، وهي لن تتحمل المزيد من التعقيدات!

- فهمت... حسناً! خذ مكانك على الطاولة، وسنبدأ بتقديم الطبق

الأول.

أخبرت كريس نفسها بحزم أن التكلم عن الأعمال هو أكثر أماناً... أضافت حين رأت سام على وشك التذمر: «سأنضم إليكم لاحقاً، إن تمكنت من ذلك».

قبل كلامها بهدوء: «جيد جداً!».

ثم التفت إلى مولي كي تمسك ذراعه ليصطحبها إلى الطاولة.

قالت مولي لكريس: «أعذرينا على الحيلة التي قمنا بها. أردنا مفاجأة ماثيو هذه الليلة، فكان اختيار اسم غاردنر كذبة بيضاء لا أكثر».

تساءلت كريس وقد ضاقت عيناها وهي تنظر نحو سام، فكرة من كانت تلك يا ترى! مولي أم سام؟ إذ إن أكثر من تفاجأ الليلة هو بالتأكيد كريس!

اعترفت مولي قائلة: «اعتقدت أنك قد تكشفين اللعبة حين طلبت طبق السلمون!».

ربما كان عليها اكتشاف ذلك، لكنها لم تفكر بالأمر كثيراً!

تابعت مولي قائلة وهي تنظر نحو سام مكشرة: «إنه اختيار سام بالتأكيد».

بالطبع إنه خياره! علمت كريس ذلك، لكنها لم تنظر نحوه. وهل كانت فكرته أيضاً وضع الورود الصفراء التي يحبها جايمس في وسط الطاولة؟

شجعتها مولي بلطف قائلة: «حاولي الانضمام إلينا لاحقاً كريس».

ثم استدارت لتمسك بذراع سام، وتمشي نحو الطاولة المليئة بالضيوف.

راقبتهما كريس وهما يمشيان، وتساءلت لما تشعر دائماً وكأنها بين أسنان طاحنة كلما أمضت بعض الوقت برفقة سام وينغارد!

لكنها على الأقل تمكنت أخيراً من فهم تلك العلاقات المعقدة في عقلها! أكثر ما أراح كريس وبدا واضحاً لها الآن أن كارولين ليست حبيبة سام كما ظنت سابقاً. وشعرت برغبة قوية بأن تكون هي تلك الحبيبة...!

١٤ - سيدتي الصغيرة... ستندمين!

عقد جيري حاجبيه عابساً وهو عائد إلى المطبخ في وقت لاحق من السهرة وقال: «أليس هذا سام وينغارد في الخارج؟».

- إنه هو بالتأكيد!

أخذت كريس تنهي ترتيب الطبق الرئيسي من السلمون للمدعوين الخمسة والعشرين.

قال جيري بتقدير: «لم أره منذ سنوات».

ثم شرح كلامه قائلاً: «كثيراً ما كان يأتي إلى مطعم سكوتي».

سكوتي هو المطعم الذي كان جيري يديره قبل أن ينضم إلى مطعم كريس.

تابع قائلاً: «لقد تلقى صفعة قوية في ذلك الحين. لطالما فكرت أنه ظُلم في مسألة خطيبته. أعتقد أن الجميع حكموا عليه بقسوة لأنهم اعتبروه مسؤولاً عن محاولة الانتحار التي قامت بها. أساءت الصحافة إليه كثيراً في الماضي، لذا من الجيد أن نراه... آه... آه».

تحرك بسرعة نحو كريس ليمسك بطبق السلمون الذي بدا كأنه سيقع من يدها، وقال: «هل أنت بخير كريس؟».

لا، إنها ليست بخير! فهي تشعر أنها غبية بسبب الخطأ الذي ارتكبته حين اعتقدت أن كارولين هي حبيبة سام. والآن ها هي تكتشف أيضاً أن جيري يعرف سام منذ زمن بعيد، وهو يظن أنه رجل محترم ومظلوم.

من هو سام وينغارد في الحقيقة يا ترى؟ هل هو الرجل المتوحش الذي تكلمت عنه الصحافة منذ عشر سنوات؟ أم أنه الأخ المحب لمولي، والابن

الذي يهتم لوالده وزوجته، والحبيب الحنون مع كريس؟

أدركت كريس بدون شك أي نوع من الأشخاص تريده أن يكون!

وقفت مستقيمة كي تخلع وزرة العمل، وتضعها جانباً قبل أن تمسّد ثوبها الأسود، وتستدير لتحمل طبق السلمون الأخير.

- جيري، أنا مدعوة إلى حفلة عيد الميلاد هذه، أتعتقد أنك قادر على الاهتمام بأمر التحلية بمفردك مع طاقم العمل؟

لم تعرف كريس إن كان جيري قد تفاجأ بقولها أم لا، فهو لم يُبدِ أي دهشة بل أجابها: «بالطبع، يمكنني ذلك».

ثم شجعها وهي تستدير لتذهب نحو الصالة: «استمتعي بوقتك».

رفعت كريس كتفيها حالما أصبحت خارج المطبخ، وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تصل إلى الطاولة التي يجلس عليها آل وينغارد وضيوفهم. بدا الجميع مستمتعين بوقتهم.

بما أنها بقيت منشغلة في المطبخ لساعة كاملة، لم تملك كريس أي فكرة عن مكان المقعد الشاغر الذي ينتظرها. لكن حين وصلت إلى الطاولة، لاحظت أن المقعد الذي ترك لها هو بين سام وزوجة والده كارولين.

الحمد لله أنها لم تتصرف بغباء في يوركشاير لتسأل سام من تكون كارولين التي تحدّث معها بطريقة حميمة عبر الهاتف! لو أنها فعلت لبدا ذلك محرجاً فعلاً لها.

شعرت بالسوء أكثر بسبب استنتاجاتها الخاطئة، حين استدارت كارولين نحوها وهي تبتسم، في الوقت الذي جلست كريس إلى جانبها.

لمست كارولين يد كريس لترحب بها قائلة: «أنا سعيدة لأنني التقيت بك أخيراً، عزيزتي. لطالما تحدثت مولي عنك لسنوات طويلة».

أجابتها كريس وهي تدرك أن سام جالس بقربها: «وأنا أيضاً سعيدة برؤيتكم جميعاً».

تمتم سام بنعومة في أذن كريس بينما تلهّت كارولين مع زوجها: «أحقاً؟ لم تبدُ عليك السعادة حين عرفك والدي عليها».

التفتت كريس نحوه بحدة وقالت: «ذلك لأنني...».

قطعت جملتها وهي تعض شفتها السفلى. كيف بإمكانها أن تشرح له أنها أخطأت بتقدير علاقة السيدة التي تدعى كارولين به، بسبب الاتصال الذي تلقاه منها في يوركشاير؟ كيف كان بإمكانها أن تعرف بأنها زوجة والده؟!

ضغط سام عليها وهو يرفع حاجبيه بتساؤل، وسألها: «لأن... ماذا؟».

دافعت كريس عن نفسها قائلة: «كنت أشعر بصدمة كبيرة لرؤيتكم جميعاً هنا. بالمناسبة فكرة من كانت أن تفاجؤني كما فعلتم مع والدك؟».

اعترف سام قائلاً: «إنها فكرتي بالطبع».

بدا مرتاحاً جداً هذه الليلة، أكثر من أي وقت سابق رأته فيه.

- هذا ما ظننته!

- أحقاً؟ لماذا؟

شعرت كريس بالخجل من رفقته الآن، بعد الطريقة الغريبة التي افترقا فيها في يوركشاير. أجابته ببساطة: «بدا لي أنه أمر قد تقدم على فعله. سام... حين افترقنا آخر مرة...».

قاطعها وهو يضع يده ببطء لفترة قصيرة على يدها كي لا يبدو كلامه قاسياً بعكس ما يريد، وقال: «لاحقاً، كريستال. سأوصلك الليلة إلى منزلك. وهناك ستتكلم».

رمشت كريس بعينيها وهي تشعر بالمفاجأة: «أحقاً ستفعل؟».

حاولت أن تتذكر بسرعة كيف بدت شقتها حين تركتها هذا الصباح. إنها في العادة إنسانة مرتبة، ولا بد أن الشقة مرتبة ونظيفة، لكن...

أكد لها بحزم: «نعم، سأفعل ذلك».

رغم وجوده هنا في لندن، وفي مناسبة اجتماعية بين العائلة والأصدقاء، لكن سام لم يبدُ أقل تعجرفاً مما بدا في يوركشاير.

نصحها قائلاً: «أغلقي فمك كريستال، وتناولي طعامك».

رمقته بنظرات ساخرة، وقالت: «ألا تظن أن من الصعب تطبيق الأمرين معاً؟ إن أغلقت فمي كيف سأتمكن من تناول الطعام؟!».

قال لها بنفاد صبر: «فقط تناولي طعامك يا امرأة! لم أرك تنهين تناول طبق من الطعام ولو مرة من قبل. جسمك ضعيف جداً وأنت تحتاجين إلى التغذية».

شرحت له قائلة: «ربما يبدو الأمر غريباً، لكنني في الواقع لا أستمتع بتناول الطعام الذي أحضره».

في الواقع، حين تنهي كريس تحضير الطعام في المطعم تفقد شهيتها دائماً على الطعام.

نظر سام نحوها متأملاً ثم قال: «إذاً، ربما حان الوقت كي يطهو لك شخص آخر عشاءك».

- إنها فكرة جيدة، ولكن...!

أنهى الجملة عنها: «لكنك منشغلة دائماً في المطعم عند المساء!».

ثم أضاف متعمداً: «في الواقع كنت سأقترح عليك أن أحضر لك الفطور».

اتسعت عيناها وهي تحدق به، وعلا الاحمرار وجنتيها. سألته بدهشة: «الفطور؟».

هز رأسه قائلاً: «ما رأيك بالكرواسون الساخن بالعسل؟».

هذا رائع! ولكن...

شرح لها بصوت عذب قائلاً: «سأقدّمه لك في الفراش أيضاً».

هزت كريس رأسها وهي تشعر بالذهول تماماً. لقد ذهب بكلامه إلى أبعد مما كانت تتوقع. كيف انتقل بهذه السهولة من التكلم عن مرافقتها إلى المنزل فقط، إلى الحديث عن تقديم الفطور لها في السرير عند الصباح؟!

حدقت بالغطاء الأبيض للطاولة أمامها، ولم تعد تستطيع الالتفات نحو سام. قالت: «سام، لا أعرف ما هي الفكرة التي أخذتها عني وأنا في

يوركشاير...».

أمسك بيدها، وشد عليها قائلاً: «سبق أن ناقشنا هذا الموضوع كريس. لكن سنناقشه لاحقاً من جديد إن أردت ذلك».

ثم ذكرها وهو ينظر باتجاه والده قائلاً: «ففي النهاية إنها أمسية والدي الآن!».

إنها بالتأكيد أمسية ماثيو وينغارد... بدا الرجل المسن ساحراً وجذاباً جداً خلال الحفلة المفاجئة التي حضرها له ابنه وابنة زوجته. قام ماثيو بشكرهما حين ألقى خطابه القصير قبل البدء بشرب القهوة. رغم أن الساعة تعدت الواحدة من بعد منتصف الليل، إلا أن أحداً من المدعوين لم يبدُ على عجلة من أمره!

ولكي لا تنتهي السهرة باكراً، سمحت كريس لطاقم العمل بكامله بمن فيهم جيري أن يعودوا إلى منازلهم، على أن يقوموا بتنظيف المطعم في صباح اليوم التالي.

شعرت كريس بيد سام مستلقية طيلة الوقت فوق كرسيها. أدركت أنه سيوصلها إلى منزلها هذا المساء... وأنه سيقوم فعلاً بتحضير الفطور لها في الصباح!

في الواقع، وهي في طريق العودة إلى المنزل برفقته في تلك السيارة الخضراء الرياضية، أحست كريس كأنها فتاة صغيرة بسيطة. لم تشعر بأنها امرأة في السادسة والعشرين من عمرها سبق أن تزوجت وأصبحت أرملة أيضاً!

أمسك سام بيديها اللتين كانت تضعهما بتوتر فوق حضنها، وقال: «استرخي! لقد استمتعت بالسهرة، أليس كذلك؟».

بعد كل ما قاله لها سام، تعجبت كريس كيف بقيت مستمتعة خلال السهرة وقامت بالتحدث كثيراً مع مولي و«الوالدين». لكنها بقيت تدرك تماماً وجود ذراعه المتملكة فوق كرسيها طيلة السهرة أيضاً...

أكدت له قائلة: «نعم، استمتعت كثيراً. لديك عائلة لطيفة».

- نعم، أعتقد ذلك.

بللت كريس شفتيها وقالت: «سام، قبل أن تقول أي شيء آخر. أعتقد... أعتقد أنه علي إخبارك أنني...».

شجعت كريس نفسها وهي تقول: هيا كريس أخبريه. ثم تابعت بحزم قائلة: «أنني قمت ببعض الافتراضات الخاطئة قليلاً».

سألها بسخرية وهو يدرك ما تقصده: «قليلاً؟ كارولين امرأة جميلة، أليس كذلك؟».

التفتت كريس لتحدق به وهي تشعر بحرارة وجنتيها المرتفعة. تباً! إنه يعرف ذلك. لقد أدرك تماماً ما الذي كانت تفكر به.

- أدركت ذلك الليلة، حين بدوت منذهلة بعد أن تعرّفتما إلى بعضكما. هل عادت مخيّلتك الواسعة تعمل من جديد كريستال؟

- ربما! لكنك بدوت متكتماً جداً حين كنا في يوركشاير معاً... لم تتكلم أبداً عن نفسك و... بدوت بعيداً جداً!

سألته حين بدأ يضحك: «ما الذي يضحكك هكذا؟».

قال لها وهو يهز رأسه: «أنت تضحكينني».

ثم أضاف بجدية: «عليك أن تعلمي أنني قررت التخلي عن حياة العزلة التي أعيشها».

نظرت نحوه وقد بدا وجهها داكناً باستثناء بعض الضوء الخفيف الذي انعكس عليه من أضواء الشارع. سألته ببطء: «هل قررت ذلك فعلاً؟».

هز رأسه وهو يقول: «نعم! بعد أن رحلت مع مولي من يوركشاير، جلست بمفردي وأدركت أن ليس بإمكاني الاستمرار في العيش بتلك الطريقة لمدة أطول. وإن كنت أنت قد استطعت التعامل مع حياة الشهرة رغم المصاعب التي مررت بها هذا العام، فسأتمكن أنا بالتأكيد من مواجهة بعض النظرات القاسية والاتهامات غير العادلة التي ستواجهني إن ظهرت مجدداً أمام الجمهور».

إنه يتكلم عن راشيل غيبسون بالتأكيد...

رمقها بنظرة جانبية وتابع يقول: «أعتقد أنك ستسألينني الآن إن كانت تلك الاتهامات فعلاً ظالمة».

ربما هي فعلاً اتهامات غير صحيحة، لكن كريس لم تكن تحتاج إلى سؤاله عن هذا الأمر. من الواضح أن مولي تعشقه، ووالديها فخورين جداً به، وجيري يظن أنه رجل محترم ومظلوم. كما أنها تعلم تماماً أنها لم تكن لتقع في غرامه لو أنه ليس الرجل المناسب!

أجابته بثقة وهي تهز رأسها: «لا! أنا لست بحاجة لكي أسألك عن هذا الأمر».

اشتدت قبضة سام فوق المقود، وسألها: «كريستال، ألن تقومي حتى بإظهار بعض الشك، لكي أشرح لك الأمر؟!».

نظرت كريس نحوه وأدركت أن خلف ذلك الوجه القاسي وتلك الثقة القوية بالنفس التي جعلته يتحدث حتى عن تحضير الفطور لها، هو يشعر في داخله بالتوتر مثلها تماماً.

أمسكت ذراعه، وسرعان ما شعرت بتوتر جسده بسبب لمستها.

- سام...!

انحرفت السيارة قليلاً عن المسار بسبب ردّة فعل سام التلقائية حيال لمستها. ابتسم لها وهو يلتفت سريعاً نحوها بعد أن أعاد السيارة إلى المسار الصحيح، وقال: «ربما علينا تأجيل هذا الموضوع، حتى نصل بسلام إلى المنزل».

هز كتفيه وهو يتابع: «أنا لا أريد أن أتهم مرة أخرى بأنني المسؤول عن محاولة قتل...».

قاطعته كريس بحزم وهي تعلم تماماً ما الذي سيقوله: «سام، لا تقل ذلك حتى! أنا لا أصدق شيئاً ممّا قالته راشيل غيبسون عنك منذ عشر سنوات!».

بدا مندهشاً وهو يسألها: «أحقاً أنت لا تصدقين؟».

أكدت له بحزم قائلة: «بالطبع لا! رغم أنك قد تصبح مسؤولاً عن

موتي أنا إن لم توقف السيارة جانباً إلى أن تهدأ مشاعرك!».

بدأ عصب يهتز في عنقه واشتدت قبضته فوق المقود، فيما شحب وجهه قليلاً وهو يحدق نحوها. ابتلع ريقه بصعوبة وقال: «أنا... أنت!».

قالت كريس وعيناها تلمعان بالفرح: «سام المتغطرس يشعر بالارتباك! لم أعتقد أنني سأرى اليوم الذي...!».

- ستندمين على كلامك هذا يا سيدتي الصغيرة.

قاد سيارته نحو موقف السيارات في المبنى الذي تقطن فيه كريس.

ضحكت كريس وقالت: «لن أسألك حتى، كيف عرفت مكان سكني. لا بد أنك عرفت ذلك من مولي».

واستدارت كي تخرج من السيارة، لكن سام منعها وهو يمسك ذراعها بقوة. عادت لتنظر نحوه بتساؤل. لم تعد تشعر بالسعادة حالما رأت تعابير وجهه الغريبة. عادت إلى مقعدها، واقتربت منه كي تحتضنه بين ذراعيها وهي تقول: «آه سام...! كل شيء سيكون على ما يرام. سترى ذلك».

بدأ جسمه يهتز بين يديها ما جعلها تعانقه بقوة لتؤكد له أن كل شيء سيكون بخير. لكنها أدركت أنه لم يكن يرتجف بسبب الحزن، بل لأنه يضحك بشدة!

رفعت رأسها لتنظر إليه بنظرات اتهامية وهي تسأل: «ما الذي يضحكك؟».

هز رأسه، وعيناه لا تزالان تلتمعان بالضحك. شرح لها بصوت يرتجف لشدة الضحك: «اعتقدت أن دور الرجل هو التأكيد للمرأة أن كل شيء سيكون بخير».

حاول بصعوبة واضحة السيطرة على ضحكته، ما جعل كريس غير قادرة أيضاً على ضبط ضحكة عفوية. وقالت: «فلنصعد إلى المنزل».

قبل سام دعوتها قائلاً: «إنها أفضل دعوة تلقيتها الليلة».

ولحقها كي يصعدا إلى المنزل.

لم يكن لدى كريس فكرة ما الذي قد يعتقده الحارس الليلي حين يراها وهي تدخل مع سام. ابتسمت للحارس، ولوحت بيدها قبل أن تدخل مع سام إلى المصعد.

لاحظ سام استغراب الحارس، وقال لكريس: «ستصبح سمعتك في الحضيض غداً!».

هزّت كريس كتفيها، وشرحت له قائلة: «لطالما قالت لي أمي إن الناس سيختلقون الأمور إن لم يعرفوا كيف تسير حقاً. لذا من الأفضل أن أعيش حياتي كما أريد من دون التفكير بالآخرين. وحتى الآن أجد ذلك ناجحاً جداً».

بدت شقتها مرتبة ونظيفة، تماماً كما توقعت، فالمفروشات ذات اللونين الأصفر والقشدي أضفت نوراً مرحباً ومشرقاً حتى في منتصف الشتاء. هذا بالضبط ما أراد جايمس أن يظهره حين قام بتصميم ديكور المنزل.

قالت وهي تضع حقيبتها على الطاولة: «لمَ اخترت الورود الصفراء كي توضع على الطاولة في المطعم اليوم؟ أنت من اختارها أليس كذلك؟».

شعرت بالتوتر لوجودها في الشقة لوحدها مع سام. وهما في طريقهما بدا كل شيء ممكناً. لكن ما إن دخلا... ما الذي يريده سام منها الآن؟

نظر سام نحوها بقسوة وقال: «أنت تنتقلين إلى موضوع يجب ألاّ يكون أوّل أمر نتكلم عنه».

ثم قال لها بحنان: «لقد اشتقت إليك في الشهر الذي مضى كريستال».

ابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تبلل شفتيها الجافتين، وقالت: «أمضيت يومين فقط برفقتك».

ثم أضافت وهي تدرك فجأة أنه لا يزال واقفاً: «يبدو أنني فقدت التصرف المهذب! لم أسألك حتى إن كنت تشرب شيئاً ما...».

قاطعها سام بحزم: «أنا لا أريد أي شراب».

ابتسمت وقالت بإذعان: «حسناً! أنا... ما الذي فعلته بميرلن الليلة؟».

ما الذي يحدث لها بحق السماء؟ حين كانا لا يزالان خارج المنزل، شعرت بارتياح لوجودها مع سام حتى إنهما ضحكا معاً، لكنها الآن...

- إنه في منزل الوالدين. اعتقدت أن ذلك أفضل له بينما أجد مكاناً دائماً للسكن في لندن.

نظرت كريس نحوه بدهشة وقالت: «أعلم أنك قلت لي... أحقاً أنك ستعود للعيش في لندن؟».

قفز قلبها من مكانه لمجرد التفكير بأن سام سيكون بقربها دائماً. أكد سام وهو ينظر نحو وجهها: «نعم، سأفعل. ليس طيلة الوقت طبعاً. فأنا أحب يوركشاير كثيراً. لكن، ربما لمدة أسابيع...».

أجابت كريس بلطف: «سيكون ذلك جميلاً!».

أصبحت عيناه حذرتين الآن وهو يقول: «أتظنين ذلك؟».

- بالطبع! هكذا ستتمكن من رؤية عائلتك و...

- ورؤيتك؟

شعرت كريس فجأة بالخجل، ووافقته قائلة: «إن كنت تريد ذلك».

أخذ نفساً عميقاً وقال بجدية: «آه! أود ذلك. أودّ ذلك كثيراً!».

ترددت مجدّداً ثم قالت: «أنا... هل أنت متأكد أنك لا تريد أي شراب؟ قهوة؟ شاي؟».

هز سام رأسه: «كريستال، أحتاج لإخبارك بما حدث منذ عشر سنوات...».

اعترضت كريس قائلة: «أنت لا تحتاج لفعل ذلك. سبق أن أخبرتك أنني لا أصدق كل تلك الأكاذيب التي تقول إنك المسؤول عن محاولة راشيل للانتحار».

قال ببطء: «لكن... بدا لي أن هذا ما كنت تشعرين به حين غادرت

يوركشاير».

- كيف بإمكانك أن تعرف ما الذي شعرت به حين غادرت يوركشاير؟ أعرف أنني شعرت ببعض الارتباك حين عرفت من تكون. لكني لم أصدق أنك المذنب بتصرفات خطيبتك.

قاطعها سام: «خطيبتي السابقة. إنها إحدى المشاكل التي لم تنتهِ!».

وافقته كريس: «حسناً! ربما... لكن كلامي ليس جزءاً من المشكلة. أنا لم أغادر يوركشاير لأنني عرفت شخصيتك الحقيقية أو لأنني فهمت لما تعيش بمفردك في غابات يوركشاير منذ عشر سنوات».

بدا مشوش الفكر قليلاً وهو يسألها: «إذاً، لِمَ غادرتِ؟ ولا تخبريني أن السبب هو ازدحام المطعم بالأعمال فعلاً، لأنني لن أصدق ذلك».

- آه...!

ليس بإمكانها الاعتراف ببساطة أن سبب مغادرتها هو اكتشافها بأنها مغرمة به... وأن مشاعرها هذه صدمتها كثيراً... لكن الأسابيع الأربعة التي مرت جعلتها تعرف أنها مهما حاولت الهرب من حبه، فسيبقى موجوداً دائماً في داخلها.

وبالنظر نحو سام الآن، تأكدت كريس أنها تحبه أكثر من أي وقت مضى.

- آه... ماذا؟

- ... خلال العام الفائت لم أفقد زوجي فقط، بل والداي أيضاً...

علّق سام وهو يتحرك فجأة نحوها: «أعلم! لا بد أن ذلك كان صعباً جداً عليك. لا يمكنني حتى أن أتصور... أو ربما بإمكاني...».

قطع كلامه، واقترب منها أكثر ليلف ذراعيه حولها ويعانقها بقوة.

عانقته كريس بالقوة نفسها وجسدها يذوب في حرارة عناقه الرائع.

لفت ذراعيها حول كتفيه كي تشعر بقربه أكثر.

توقف سام عن الحراك فجأة ثم قرّب وجهه منها ليهمس في أذنها

قائلاً: «أنا أحبك كريستال... أحبك كثيراً. بدت الأسابيع الأربعة الماضية كالجحيم بالنسبة لي... كانت أسوأ من كل الأيام الصعبة التي عشتها من قبل!».

بدت أسوأ من إدراكه قبل عشر سنوات أن خطيبته مجنونة بتملكه وبغيرتها القاتلة... أسوأ من شعوره بجزء من المسؤولية تجاه محاولتها الانتحار... أسوأ من الألم والوحدة اللذين عانى منهما خلال تلك السنوات العشر.

يبدو أن كليهما قد عانيا، كل بطريقته. لكن رغم الألم الذي مرّا به تمكنا من الوقوع في حب بعضهما.

أخذ نفساً عميقاً وسألها: «أتحبينني بما يكفي كي تتزوجي بي؟».

من دون أن تسأله عن أي شيء آخر قالت كريس: «آه! نعم، نعم!».

أجابها سام بصوت أجش عن السؤال الذي سألته في البدء: «لقد طلبت وضع ورود صفراء على الطاولة، لأقول لك إنني أتقبل بشكل عادي حبك لجايمس. وإن كنت سأقنعك بأن تبادليني الحب، فذلك لا يعني أنني سآخذ حبك لجايمس بعيداً عنك».

مرر يده فوق وجهها الناعم، وهو يتابع: «أتفهمين ما أقصده؟».

فهمت تماماً ما يقصده... فهمت أن سام يدرك بأن حبها له لا يقل أهمية عن حبها لجايمس، إلا أنه فقط يختلف نوعاً ما عنه.

لكن ذلك كافٍ كافٍ جداً لها!

* * *

- لم يكن الوضع سيئاً إلى هذا الحد، أليس كذلك؟

عاد سام ليجلس بشكل مستقيم بقربها وصوت الاستحسان لا يزال يرن في أذنيه.

نظر نحو الجائزة السادسة التي يناها ككاتب لمسلسل بايلي. إنها المرة الأولى التي يظهر فيها أمام الجمهور لتسلم جائزته بنفسه، وهو أمر قدّره الجمهور كثيراً.

ا/225530.16

مرّ عام كامل الآن، انتقل سام خلاله مع كريس للعيش حيناً في المنزل الذي ابتاعاه في لندن، وحيناً آخر للعيش في منزل فالكوف في يوركشاير. فهذه أسعد سنة عاشتها كريس في حياتها... شاهدت خلالها عودة سام إلى حياته الطبيعية؛ أخذ مسلسل بايلي يلقى المزيد من النجاح، ما جعل العديد من المخرجين الأميركيين يطلبون منه كتابة سيناريوهات لأفلامهم، خصوصاً أنه ترك حياة العزلة التي كان يعيشها.

- لا، لم يكن سيئاً أبداً. لكن انتظري حتى يأتي دورك لتسلم جائزتك، كي تخبريني كيف تشعرين.

لقد رُشّح برنامج كريس لنيل جائزة أيضاً. أخبرته بلطف وهي تبتسم: «سبق أن حصلت على الجائزة التي أستحقها».

بدا مشوش التفكير وهو يقول: «أنت تبتسمين تلك الابتسامة الغريبة من جديد...».

انحنت كريس إلى الأمام كي تهمس بأذنه، ثم عادت لتجلس مكانها من جديد وهي تنظر نحوه بسعادة.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول: «هل أنت واثقة من ذلك؟».

أكدت له بأناقة: «بالتأكيد».

جعلته سعادته المفرطة يحملها بين ذراعيه. ما جعل العديد من الحاضرين يلتفتون ليحدّقوا بهما.

لكنهما لم يأبها لتلك النظرات، بل احتضنا بعضهما بفرح شديد. فبعد أقل من عام سيولد ابنهما أو ابنتهما...!!